الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم

المدرسة الإماراتية

2021-2022

الإمارات تاريخنا (2)

كتاب الطالب

الصف
08

الإمارات - تاريخنا (2)

كتاب الطّالب

الصّفّ الثّامن

2021-2022م/1442-1443هـ

حقوق التأليف © 2017: مشروع تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة.
جميع الحقوق محفوظة

طُبعت الطبعة الثانية 2018 في دولة الإمارات العربية المتحدة.

الرقم الدولي للكتاب: 0-402-22-9948-78

تأليف: بيتر ماغي؛ بيتر هيلير، محمد المبارك

منشورات:
مشروع تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة
ص ب 43933، أبوظبي
الإمارات العربية المتحدة
admin@uaehistory.ae

تصميم وإنتاج:
إيليت ميديا
برج كونكورد، الطابق 6
مدينة دبي الإعلامية
ص ب 126732
دبي، الإمارات العربية المتحدة
www.EliteMediaPublishing.com
هاتف: 4549779 4 (0) (971+)

طُبع في دولة الإمارات العربية المتحدة
تصميم الغلاف: إيليت ميديا @ 2017

ترجمة:
عصام حسن منذر - كور آند ستايل لخدمات الترجمة
ص ب 7403، برج السلام، أبوظبي
065 6265 (2) (971+)
www.casts@casts-translation.com

جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز نسخ أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل دون الموافقة الخطية من أصحاب حقوق التأليف والنشر.
يجب توجيه طلبات استخدام هذا الكتاب إلى الناشرين.

تستند محتويات هذا الكتاب إلى المعلومات التي كانت متوفرة في وقت نشره. ورغم توخي الناشرين الحذر الشديد لضمان دقة المعلومات وصحتها، لا يتحمل الناشرون أية مسؤولية عن العواقب الناتجة عن استعمال المعلومات التي يحتويها هذا الكتاب.

يتوجه المؤلفون بجزيل الشكر إلى المؤسسات والأشخاص التالية أسماؤهم لما أبدوه من كرم بتوفيرهم للصور الضرورية لاستخدامها في هذا الكتاب.

دائرة الثقافة والسياحة بأبوظبي؛ إيمج نيشن أبوظبي؛ متحف ميزغارد (الدانمارك) ؛ د. ميشيل زيولكوفسكي؛ البرفيسور هانز- بيتر يوربمان؛ البروفيسورة مارغاريت يوربمان؛ د. صوفي ميري؛ ويليام ديدمان؛ البروفيسور دان بوتس؛ د. توم فوسمر؛ د. صباح جاسم (هيئة الشارقة للآثار) ؛ البروفيسور إيرني هيرينك؛ د. ديريك كينيت؛ البروفيسور ستيفن سايدبوثام؛ د. أدلينا كوتيرر؛ د. إيما تومبسون.

كما يستحق العديد من هؤلاء المفكرين الشكر لتخصيص قسط كبير من وقتهم مجانا لمناقشة آخر اكتشافاتهم وأفكارهم حول تاريخ الإمارات العربية المتحدة.

صاحب السّمو الشّيخ خليفة بن زايد آل نهيان
رئيس دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، حفظه الله

"يجب التزوُّد بالعلوم الحديثة والمعارفِ الواسعة والإقبال عليها بروح عالية ورغبة صادقة، حتى تتمكّن دولة الإمارات خلال الألفيّة الثّالثة من تحقيق نقلة حضاريّة واسعة."

من أقوال صاحب السّمو الشّيخ خليفة بن زايد آل نهيان

الإمارات – تاريخنا

هذا الكتاب "الإمارات - تاريخنا" مخصص لتعريف الأجيال على التاريخ العريق لدولة الإمارات العربية المتحدة.

وتم إصداره في نسختين: باللغة العربية والإنجليزية.

بيتر ماغي؛ بيتر هيلير؛ محمد المبارك

مقدمة

منذ تأسيسها كدولة مستقلة قبل نصف قرن تقريبًا، لا تزال دولة الإمارات العربية المتحدة تنعم منذ ذلك الحين بمعدلات متزايدة من التقدم والازدهار وذلك بفضل الرؤية الحكيمة والجهود المخلصة للآباء المؤسسين للدولة. وقد تابع أصحاب السمو حكّام الإمارات أعضاء المجلس الأعلى مسيرة النهوض حتى وصلت دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم إلى مصاف الدول المتقدمة في العالم. ولا يمكن لنا أن ندرك جيدًا حقيقة هذه المكانة المتقدمة التي تتبوأها دولتنا الحبيبة الآن إلا إذا نظرنا إليها ضمن سياقها التاريخي، وتعرّفنا عن كثب على الجهود المضنية التي بذلها أسلافنا.

يرسم كتاب "الإمارات: تاريخنا" ملامح مسيرة دولة الإمارات العربية المتحدة من الماضي وحتى الحاضر مما يجعله مصدرًا قيّمًا من المعلومات للتعرّف على مراحل التطور التاريخي التي مرت بها دولة الإمارات العربية المتحدة حيث يتتبع جذورها الضاربة في عمق التاريخ منذ اكتشاف الأدلة الأولى على قيام أقدم المستوطنات البشرية والأدوات الحرفية على أرض دولة الإمارات العربية المتحدة قبل (125,000) سنة وحتى وصلت دولة الإمارات العربية المتحدة إلى ما هي عليه الآن. بالإضافة إلى ذلك، يستعرض هذا الكتاب أحدث الحقائق التي توصل إليها المؤرخون وآخر الاكتشافات التي عثر عليها علماء الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة.

إن دراسة التاريخ أمر في غاية الأهمية ومن شأنه مساعدتنا في استخلاص الدروس من الماضي والاستفادة منه في الحاضر، بالإضافة إلى أنها تعمّق معرفتنا في كيفية عيش أسلافنا مما يزيد من احترامنا لهم تقديرًا لتمسكهم بالأصالة من أجل التغلب على الكثير من التحديات المناخية والمعيشية.

يزخر تاريخ الإمارات بالكثير من الأمثلة في هذا المجال. فقبل أكثر من (3,000) سنة، ابتكر إنسان الإمارات نظام الأفلاج واستخدمها في الري مما جعلها تلعب دورًا مهمًّا في نشوء النشاط الزراعي. وقبل نحو (5,000) سنة، أدرك إنسان الإمارات أهمية الحفاظ على الموارد الطبيعية وتسخيرها لمصلحة المجتمع وذلك عندما اكتشف مناجم النحاس في ذلك الوقت القديم. كما تعرّفنا دراسة التاريخ على الأصول التاريخية للمكانة المتميّزة التي تحتلها دولة الإمارات العربية المتحدة في التجارة العالمية في العصر الحديث. فقبل أكثر من (7,000) سنة، مارس إنسان الإمارات النشاط التجاري كما تشير الاكتشافات التي عثر عليها علماء الآثار في جزيرة مروح، والتي تعود للعصر الحجري الحديث. وعندما ندرس التاريخ الحديث لدولة الإمارات، نتعرّف على الغوص على اللؤلؤ الطبيعي الذي مارسه سكان الإمارات منذ وقت بعيد والتحوّل الكبير الذي طرأ على هذا النشاط بعد اكتشاف اللؤلؤ الصناعي في القرن العشرين. وهذا ما يعطينا الكثير من الدروس في معرفة طبيعة التغيّرات التي تحدث في حياة المجتمعات البشرية وما تعنيه من أهمية الاستعداد لمثل هذه التغيّرات والصمود أمام آثارها السلبية.

بالإضافة إلى هذه الدروس القيّمَة، تسلط دراسة التاريخ الضوء على منظومة القيم التي حافظت على وجودها ودورها لآلاف السنين. ولا شك أن الإسلام هو أهم مصادر هذه القيم على الإطلاق حيث اعتنق سكان الإمارات الإسلام منذ ظهوره في شبه الجزيرة العربية قبل (1,500) سنة تقريبًا، ولا تزال تعاليم الدين الإسلامي السمحة تلعب دورًا جوهريًّا في جميع جوانب حياة المجتمع الإماراتي منذ ذلك الحين. ومن هذه القيم على سبيل المثال لا الحصر قيم قبول الآخر والسلام والتسامح التي مارسها سكان الإمارات في حياتهم قبل آلاف السنين، وتجسدت عمليًّا في طريقة تعاملهم مع الشعوب الأخرى من أتباع الثقافات والديانات المختلفة. وليس أخيرًا، كما تعلمنا دراسة تاريخنا الإماراتي المكانة المحترمة التي احتلتها المرأة والدور المهم الذي لعبته في مجتمعنا المحلي.

وبعد هذه النبذة الموجزة عن أهمية دراسة تاريخ الإمارات، آمل من الجميع، ولا سيما جيل الشباب، أن يُقبلوا على دراسة تاريخنا ويتعرفوا على الإرث الغني الذي يضمه تاريخ دولتنا، وهذا من شأنه أن يعمّق من معرفتنا بالقيم التي ساهمت في تشكيل حياتنا، وكذلك معرفتنا بالتحديات التي واجهها أجدادنا والفرص التي استفادوا منها للتغلب على تلك التحديات. وفي هذا المجال، لا أجد دليلًا على أهمية دراسة تاريخنا أفضل من قول - المغفور له - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه لله، مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة وأول رئيس لها، عندما قال: "إن التاريخ سلسلة متصلة من الأحداث، وما الحاضر إلا امتداد للماضي. ومن لا يعرف ماضيه، لا يستيطع أن يستفيد من حاضره ويعيش مستقبله لأننا نتعلم الدروس من الماضي".

وفي هذا الوقت الراهن الذي تتضافر فيه جميع الجهود من أجل الاستغلال الأمثل للطاقات البشرية والطبيعية الهائلة التي تمتلكها دولتنا العظيمة والاستفادة منها لمصلحة الإماراتيين، من المفيد جدًّا أن نولي أهمية كبيرة لدراسة تار يخنا العريق واستخلاص الدروس والعبر منه، ومن أهمها الوحدة. وبذلك، نستطيع أن نتطلع لبناء مستقبلنا المشرق بكثير من الثقة والاستعداد والإرادة.

صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان

الفهرس

الفصل الدّراسي الأوّل	الفصل (10): فجر الإسلام يشرق على الإمارات وشبه الجزيرة العربية	77
	الفصل (11): التجارة البحرية في دولة الإمارات العربية المتحدة منذ فجر الإسلام	87
الفصل الدّراسي الثّاني	الفصل (12): بزوغ فجر الإسلام	99
	الفصل (13): ظهور بني ياس والقواسم ووصول القوى الأجنبية إلى منطقة الخليج العربي: (1600-1800م)	109
	الفصل (14): تشكّل الهوية الوطنية: (1800-1950م)	123
الفصل الدّراسي الثّالث	الفصل (15): الشيخ زايد - رحمه الله - وتأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة: من 1966م إلى سبعينيات القرن العشرين	137
	الفصل (16): بناء الدولة الحديثة: من سبعينيات إلى ثمانينيات القرن العشرين	141
	الفصل (17): الفترة الممتدة من تسعينيات القرن العشرين إلى اليوم	149
	الخاتمة	163
	قراءات إضافية	166
	الكلمات المفتاحية	167

الفصل الدّراسي الأوّل

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الفصل

10

فجر الإسلام يشرق على الإمارات وشبه الجزيرة العربية

كشفت أعمال التنقيب الأثرية في أحد المنازل المبنية من الطوب الطيني في قرية مليحة عن وجود قطع يدوية كانت تُستخدم في الحياة اليومية قبل (2000) سنة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

تستند المعلومات عن الفترة الممتدة بين عامي (300) قبل الميلاد و(600)ميلادي إلى الأبحاث التي أجريت على العديد من المواقع الأثرية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وعلى وجه الخصوص في مواقع مليحة والدور ودبا وصير بني ياس، حيث تعكس هذه المواقع الأربعة صورة مشتركة عن مجتمع غني ومتنوع، لكن كلًا منها يوفر معلومات فريدة ومهمة عن الإمارات في تلك الفترة التاريخية. في هذا الفصل، سندرس الأدلة التي تم جمعها من مليحة والظهور الجديد لمملكة جديدة، بينما سنركز في الفصل التالي على دور التجارة البحرية بين شبه الجزيرة العربية وبقية دول العالم.

كانت قرية مليحة متميزة لا تضاهيها أية مدينة أخرى من حيث المساحة والتنظيم في الإمارات القديمة.

مليحة

تقع **مليحة الأثرية** في الجزء الداخلي من الشارقة على بعُد حوالي (20) كم جنوب مدينة الذيد الحالية. لا يزال الحجم الكامل للمدينة غير معروف تمامًا إلا أن اللقى الأثرية تغطي مساحة لا تقل عن (2.5 × 2) كم.

كانت قرية مليحة متميزة لا تضاهيها أية قرية أخرى من حيث المساحة والتنظيم في الإمارات القديمة، ولكن من المهم أن نتذكر أنها لم تكن مكتظة بالسكان مثل المدن الحديثة الحالية في دولة الإمارات العربية المتحدة، بل انتشر العمران فيها على مساحة واسعة، وكان يتألف في معظمه من مبان سكنية بسيطة يسكنها مزارعون على الأغلب.

كان المناخ في حوالي عام (300) ق.م مشابهًا لما هو عليه الآن مع هطلات مطرية محدودة مما دفع سكان مليحة للحصول على المياه الجوفية عبر الآبار أو الأفلاج التي كانت تزودهم بمياه "حلوة" المذاق حتى الماضي القريب. إلا أن جودة هذه المياه الجوفية حول منطقة مليحة لم تنخفض إلا في العقود القليلة الماضية بسبب الزراعة الكثيفة واستخدام مضخات الديزل في استخراج المياه الجوفية.

خريطة توضح موقع مليحة وغيرها من المواقع المهمة في تلك الفترة الزمنية.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بُنيت قرية مليحة حوالي عام (250) ق.م، أي في بداية ما يُسمى حقبة ما قبل الإسلام في الإمارات. ومن أبرز الأدلة الأولى على تلك الحقبة التاريخية مقابر رائعة التصميم تتألف من حجرة واحدة حفرت في الأرض ويقوم سقفها على عوارض خشبية، وينتصب على سقف المقابر برج كبير من الطوب بطول (2) متر وعرض (4.25) متر ويبلغ ارتفاعه (3.5) متر. يزدان الوجه العلوي للبرج بزخارف مدرجة مصنوعة من الحجارة أو الجص الذي كان متوفرًا في البيئة المحلية. تم العثور على العديد من هذه المقابر في مليحة، كما يتم الكشف عن المزيد منها من خلال أعمال التنقيب الحالية التي تقوم بها هيئة الشارقة للآثار.

لا يشبه شكل تلك المقابر أية مقابر أخرى في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة. تضم مقابر حضارة أم النار (2500-2000) ق.م ووداي سوق (2000-1600) ق.م بقايا رفات عشرات الأشخاص على خلاف معظم مقابر مليحة التي دُفن فيها عدد قليل من الأفراد. تم العثور على عدد قليل من الهياكل العظمية في حجرات تلك المقابر، ما يزيد من احتمال أن جثة الميت كانت توضع في البرج فوق سطح الأرض.

مليحة والمنطقة العربية

تشبه المقابر المكتشفة في مليحة إلى حد ما المقابر الموجودة في بقية مناطق الشرق الأوسط بما في ذلك مدينة تدمر الأثرية الشهيرة في سوريا. كما أن الزخارف المدرجة التي تزيّن الجزء العلوي من أبراج مقابر مليحة تشبه مقابر مملكة الأنباط العربية الشهيرة في مدينة البتراء الأثرية في الأردن ومدائن صالح في السعودية. تشير أوجه الشبه هذه إلى وجود علاقات متزايدة بين الإمارات وبقية المنطقة العربية.

لا تقتصر دلائل هذه العلاقات على المدافن، إذ تدل العديد من النقوش المهمة التي تم العثور عليها في مليحة عن اتصال مليحة مع بقية المنطقة العربية، فقد اكتشف علماء الآثار نقشًا على أحد المدافن البرجية كُتب بحروف الأبجدية العربية الجنوبية التي كانت مستخدمة على نطاق واسع في اليمن في ذلك الوقت. يقول النقش "نفس وقبر ذريّة فتى لِمْلوك"

صورة مصممة بالحاسوب توضح كيف كانت تبدو المدافن في مليحة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كان سكان مليحة يذبحون ويدفنون الخيول والإبل كأضاحي لزعمائهم الأقوياء.

وترجمته "هذا برج وقبرُ ذريّة خادم الملوك". وكلمة "نفس" هي على الأغلب مشتقة من اللغة الآرامية ما يشير إلى أن هذا الجزء من المنطقة العربية قد تأثر بالعديد من المناطق المجاورة.

كما عثر العلماء على نقشٍ ثانٍ في مليحة يعزّز من فكرة التأثيرات عليها من جميع المناطق العربية. إنه نقش جنائزي أيضًا يعود لشخص اسمه عبيدة ابن أوس قامت (غودانا بنت شاماكوتبا) ببناء قبره. وما يثير الانتباه في هذا النقش هو اسم الأم "شاماكوتبا" بحد ذاته، فهذا الاسم يحتوي على اسم الإله "كوتبا" أو "أكتاب" المعروف من مملكة الأنباط في مدينة البتراء الأثرية ومملكة لحيان (دادان) في واحة العُلا في السعودية. بعبارة أخرى، يشير اسم الشخص إلى وجود تأثير ما من العالم العربي الأوسع على مليحة.

يشكل استخدام الأبجدية العربية الجنوبية في تلك النقوش وغيرها علامة بارزة في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة، نظرًا لغياب الكتابة تقريبًا في تاريخ دولة الإمارات. قبل ذلك التاريخ، لا تتوفر سوى أمثلة قليلة جدًّا على استخدام الأبجدية العربية الجنوبية نجدها في بعض النصوص القديمة. من هذه الأمثلة التي تحظى بأهمية خاصة نذكر نقشًا من (3) حروف عُثر عليه في مويلح، ويعود تاريخه إلى عام (800) ق.م. وسبب أهمية هذا النقش أن الأبجدية العربية الجنوبية واللغة الآرامية لم تصبح شائعة الاستخدام في الإمارات إلا بعد عام (300) ق.م. وحتى في تلك الفترة التاريخية لم تكن الكتابة واسعة الانتشار حيث انحصر استخدامها في بعض السياقات الخاصة كالكتابة على الأبراج الجنائزية أو الأواني المعدنية المزخرفة.

صنبور مصنوع من البرونز والذهب تم العثور عليه في مليحة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

منظر لحصن مليحة عُثر فيه على قالب لصب العملات.

لم يكن معظم السكان يعرفون القراءة والكتابة، ولكنهم كانوا يحتفظون بقصصٍ وأغانٍ قوّية حول تاريخهم ويتناقلونها من جيل لآخر للحفاظ على هويتهم. لقد شكّلت الأغاني والقصائد الشعرية جزءًا مهمًّا من ثقافة دولة الإمارات العربية المتحدة. تدل الأغاني التي كان ينشدها صيادو الأسماك وغواصو اللؤلؤ على أهمية البحر وموارده. واحتل الشعر مكانة مهمة في ثقافة دولة الإمارات حيث كان الأشخاص يرتجلون القصائد من بنات أفكارهم ولا يقرأونها من الورق. كما يكتنز تراث دولة الإمارات العربية المتحدة بالفلكلور الشعبي من أهازيج ورقصات مثل العيّالة التي لايزال سكان الإمارات يمارسونها لغاية اليوم في المناسبات المهمة للتأكيد على الاعتزاز بالهوية الوطنية لمجتمع الإمارات. لذلك، عندما ندرس النقوش المكتشفة في مليحة، يجب ألا يغيب عن تفكيرنا هذا الجانب الثقافي من المجتمع الإماراتي الذي لا يظهر في المكتشفات الأثرية.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

القطع النقدية

تدل اللقى المكتشفة في موقع مليحة الأثري على استخدام القطع النقدية (العملة المعدنية) لأول مرة في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة. أظهرت المكتشفات أن سكان مليحة كانوا يعملون في سك العملة من الرصاص والفضة والنحاس وغيرها من المعادن، وهذا ما يثبته اكتشاف أحد قوالب العملة المعدنية فيها. كانت القطع النقدية تشبه تمامًا تلك التي سكّها الإسكندر الأكبر (الفصل 9) والملوك الذين جاؤوا بعده.

حتى بعد موته، كانت تلك القطع تحمل وجه الإسكندر الأكبر، وصارت رمزًا للقوة والقيادة. إلا أن مليحة لم تواصل تقليد عُملة الإسكندر، بل أخذت تغير في شكلها وإن كان بعد فترة زمنية وذلك حسب القطع التي عُثر عليها هناك. فبعد وفاة الإسكندر الأكبر بمائة عام، أخذت عملة مليحة تحمل وجه رجل على أحد جانبيها وشخص جالس على الجانب الآخر.

صورة قالب كان يُستخدم لسك العملة في مليحة بالشارقة منذ أكثر من (2000) سنة، كان يُحتفظ به داخل الحصن المركزي الذي كان مقر حاكم المدينة.

التغيير الثاني الذي طرأ على عملة مليحة هو أنها حملت اسم أحد قادتها المشهورين في ذلك الوقت باستخدام حروف اللغة الآرامية على خلاف العملة الأصليّة التي كانت تحمل اسم الإسكندر بالحروف الإغريقية.

كان اسم ذلك القائد "أبييل" الذي ظل العلماء لسنوات عديدة يعتقدون أنه كان ملك مليحة. وما عزز ذلك الاعتقاد العثور على قطع نقدية مشابهة تحمل أسماء متشابهة في مناطق أخرى شرق شبه الجزيرة العربية. ولكن في الآونة الأخيرة، ظهر تفسير مغاير يؤكد أن ذلك الاسم يعود لملكة. كان صاحب هذا التفسير الجديد هو أحد العلماء المختصين بدراسة النقوش القديمة. عند دراسته للأسماء المنقوشة على القطع النقدية، لاحظ عدم وجود فراغات بين الأسماء، وأن وجود حرف "ت" في بداية الاسم الأخير لم يكن له أي معنى على الإطلاق. واستنتج أنه إذا كان هذا حرف التاء يعود للكلمة التي قبله، تصبح الكلمة "بنت" وليس "ابن". وهذا ما نراه في اللغة العربية اليوم حيث تتغير كلمة "ابن" إلى "بنت" بإضافة حرف التاء إلى آخرها. وفقًا لهذه الفكرة، فإن ملكات "أبييل" اللواتي حكمن مناطق من شرق شبه الجزيرة العربية هن "ابنة ناشيل" و"ابنة ماشاماش" و"ابنة لاباش" أو "لابيش" و"ابنة باغلان" وهذه الأخيرة **هي "أبييل" التي يُعتقد أنها حكمت مليحة في إمارة الشارقة.**

صورة عملة نقدية عليها صورة الحاكمة أبييل التي كانت تحكم أجزاء كبيرة من الإمارات في ذلك الوقت.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

القطع النقدية والتجارة

امتهن الناس التجارة في جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط لآلاف السنين. ومع تطور التجارة، استخدم الناس الفضة في أغلب الأوقات لتقدير قيمة البضائع. فقد صار بإمكانهم تبادل القمح مع الأغنام على سبيل المثال بعد أن قدروا قيمة كل من هاتين البضاعتين بالفضة. بعد عام (700) ق.م، بدأ الناس باستخدام القطع النقدية لتحديد قيمة البضائع التي يتاجرون بها. لذلك، تم سك النقود لأول مرة في ذلك الوقت في مملكة ليديا التي تقع غرب تركيا اليوم. توضح الصورة أدناه قطعًا نقدية تم سكّها من الذهب والتمور حوالي عام (650) ق.م وهي أحد أقدم القطع النقدية المعدنية المعروفة. انتشرت هذه الفكرة بسرعة كبيرة، ومع مرور الوقت كانت القطع النقدية الفارسية تُستخدم في جميع أنحاء الشرق الأوسط. وفي الوقت الذي ازدهرت فيه مليحة، انتشر استخدام القطع النقدية إلى شبه الجزيرة العربية، إلا أن معظم الأنشطة التجارية التي كانت قائمة هنالك كانت تتم من خلال نظام المقايضة، أي تبادل البضائع التي كان كل من البائع والمشتري يعتبر قيمتها متساوية.

إذا صدقت صحة هذا التفسير الجديد، فإن سلالة من الملكات كانت قد حكمت مليحة. في واقع الأمر، تحتوي الدراسات التاريخية على العديد من الإشارات التي تدل على أن ملكات حكمن مناطق واسعة من شمال المنطقة العربية في القرون التي سبقت الإسلام، وبالتالي ليس مفاجئًا لنا أن ملكة كانت قد حكمت مليحة.

إذا صدقت صحة هذا التفسير الجديد، فإن سلالة من الملكات كانت قد حكمت مليحة. في واقع الأمر، تحتوي الدراسات التاريخية العديد من الإشارات التي تدل على أن ملكات حكمن مناطق واسعة من شمال المنطقة العربية في القرون التي سبقت الإسلام، وبالتالي ليس مفاجئًا لنا أن ملكة كانت قد حكمت مليحة. يروي الملوك الآشوريون عن هزيمة جيوش كانت تقودها ملكات من أمثال "زبيبة" و"سمسي" أو "شمسي" و"آديا". بالإضافة إلى تلك الملكات، حكمت الملكة زنوبيا مملكة تدمر في سوريا خلال القرن الثالث الميلادي. كما يشير القرآن الكريم إلى أن بلقيس، ملكة سبأ الأسطورية. بعبارة أخرى، كان تقليدًا سائدًا أن تتولى ملكات قويات حكم المناطق العربية قبل الإسلام، وربما تكون سلالة مليحة جزءًا من ذلك التقليد.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مليحة: مجتمع جديد؟

بصرف النظر عمّا إذا حكم مليحة ملوك أم ملكات، شهد تنظيم المجتمع تغيّرًا كبيرًا في ذلك الوقت. ويمكن أن نتعرّف على تلك التغيّرات من خلال الإشارات القديمة التي وردت في النصوص التاريخية لملك مملكة "مجان"، وهو الاسم الذي كان تُطلقه شعوب الممالك الأخرى على الإمارات وعُمان حوالي عام (2000) ق.م. وربما كانت تلك الإشارات محاولة من الدول الأجنبية لوصف بنية مجتمع الإمارات آنذاك كما كانوا يعرفونها. ومن المرجح أن عددًا من الزعماء القبليين قد حكموا الإمارات في تلك الفترة التاريخية.

في عام (250) ق.م، كان يوجد حاكم واحد في مليحة، وربما في أجزاء كبيرة من بقية أرض الإمارات. ومن المحتمل أن ذلك الحاكم، أو شخص آخر ذو مكانة مرموقة في المجتمع، قد دُفن في واحد من أغنى القبور التي عُثر عليها لغاية الآن في دولة الإمارات. في عام 1993م، قام الدكتور صباح جاسم من هيئة الشارقة للآثار بالتنقيب عن (15) قبرًا في مليحة، حيث ضمت القبور البسيطة منها هياكل عظمية لجمال وأسلحة حديدية وقطع من السيراميك الفاخر المستورد. وفي إحدى تلك القبور، تم العثور على جمل وحصان دفنا سوّيةً. يبدو جليًّا أنه تم قتل هذين الحيوانين في وقت الدفن ربما عبر قطع عنقهما من الخلف. دُفن الحصان مع بعض القطع الذهبية الرائعة من ضمنها سرج مزخرف بأقراص ذهبية وخواتم برونزية. لا بد أن صاحبهما كان ثريًّا، **وهذا الثراء يدل على أنه كان ملكًا أو شخصية مرموقة في مليحة. كذلك تؤكد إحدى الاكتشافات الحديثة بجانب القبر أن هنالك ملكًا عاش في مليحة في ذلك الوقت** (انظر "اكتشاف جديد في مليحة") .

صورة لجام وأدوات ذهبية لحصان دُفن في مليحة إلى جانب صاحبه الذي كان من الواضح شخصًا من كبار القوم، لكنه دُفن في قبر بسيط.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

اكتشاف جديد في مليحة

في شتاء عام 2015م، أسفرت أعمال التنقيب التي كان يقوم بها علماء الآثار في مليحة بالشارقة عن اكتشاف رائع. فبينما كانوا ينقّبون عن قبر مشابه للقبور الأخرى التي عثروا عليها في الموقع نفسه، لاحظوا لوحًا كبيرًا مستطيلًا داخل جزء من أحد القبور المتداعية. أخرجوا اللوح بحذر شديد وأحضروه إلى المختبر. وعندما انتهوا من تنظيفه، وقعت أعينهم على شيء مذهل. كان اللوح مصنوع من الجص ومنقوش عليه نصان، أحدهما منقوش باللغة الآرامية على الأطراف الخارجية يقول: "هذا نصب تذكاري لـ "عامود" ابن "جور" الذي قام ابنه "عامود" ابن "عامود" ببنائه له حوالي عام (90) أو (97)."

أما الثاني فكان النص الأصلي، وقد كُتب بخط العربية الجنوبية القديمة (المسند) بلهجة تُسمى "الحساوية" أو الإحسائية وهي واحدة من اللغات التي كانت مستخدمة في شمالي الجزيرة العربية في ذلك الوقت. يقول النقش العربي "هذا نصب تذكاري وضريح "عامود" ابن "جور" ابن "أَلي" المحقق الخاص بالملك "عمان" الذي بناه ابنه "عامود" ابن "عامود" ابن "جور".

يحظى هذا النقش بأهمية كبيرة لأسباب عديدة، أولها أنه يتضمن أول إشارة من داخل المنطقة لملك عُمان. فحقيقة اكتشافه في مليحة يعزز الفكرة القائلة بأن مليحة كانت أشبه بعاصمة جزء كبير على الأقل من المنطقة. السبب الثاني هو إمكانية تحديد تاريخ هذا النقش بدقة، فسنة (90) تتعلق على الأرجح بالعهد السلوقي، اي بعد (90) سنة بعد أن قام سلوقس، أحد القادة العسكريين لدى الإسكندر الأكبر، بغزو بابل في عام (312-311) ق.م، ما يعني أن شاهدة القبر تعود إلى العام (222-221) ق.م، أو إلى عام (215-214) ق.م إذا كان التاريخ المكتوب على اللوح هو (97). الأمر الذي يتفق تمامًا مع فهمنا للأدلة الأخرى التي تم العثور عليها في مليحة والتي تشير إلى تحّول المدينة إلى مركز اقتصادي وسياسي مهم في ذلك الوقت.

عاش حكّام مليحة في حصون كبيرةُ شيدت من الطوب (لبنات الطين) كان شكلها مستطيلًا أو مربّعًا، وتتكوّن من باحة كبيرة في الوسط تحيط بها الغرف. دمّر حريق هائل أحد تلك الحصون فحوّلها إلى موقع أثري غني بمقتنياته. دلّت مكتشفات ذلك الموقع أن الأثرياء في ذلك الوقت كانوا يستطيعون الحصول على البضائع من مختلف مناطق الشرق الأوسط وحوض المتوسط، كما كانوا يزرعون مجموعة متنوعة من المحاصيل الزراعية بما في ذلك العنب.

يحظى هذا النقش بأهمية كبيرة لأسباب عديدة، أولها أنه يتضمن أول إشارة من داخل المنطقة لملك عُمان.

الديانة

لا يوجد أي دليل على وجود معابد في مليحة إلا أن النقوش واللقى التي تم العثور عليها في الموقع تشير إلى أن العديد من الآلهة التي كانت تُعبد في أنحاء المنطقة العربية كانت تُعبد أيضًا في مليحة. **ومن المرجح أن إله الشمس "شمس" كان يحظى بأهمية خاصة، حيث تم اكتشاف معبد شمس في الموقع الساحلي "الدور"، والذي تزامن ازدهاره مع ازدهار مليحة.** تحمل بعض الأسماء الشخصية إشارات إلى آلهة أخرى كانت تُعبد في أنحاء مختلفة من المنطقة العربية (انظر أعلاه).

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مليحة والمنطقة العربية

يقتصر مجال علم الآثار على اللقى التي تتركها الشعوب ورائها فقط. ومن خلال دراسة هذه اللقى، نستطيع أن نتعرف على ما كانت تفعله هذه الشعوب في حياتها اليومية. إلا أن معرفة المكان الذي جاء منه السكان يبقى سؤالًا تصعب الإجابة عليه. فمن المرجح أن البعض قد جاؤوا من مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية واختاروا العيش والعمل في السهول الخصبة المحيطة بمليحة حيث أحضروا معهم لغات جديدة وشعائر جديدة لدفن موتاهم وربما أفكارًا جديدة مثل أهمية وجود ملك أو ملكة. ولكن هنالك سكان مليحة المحليون أيضًا الذين عاش أسلافهم في مدن (العصر الحديدي) و(العصر البرونزي) التي أصبحت الآن مجرد أطلال، وقد كان هؤلاء السكان المحليون هم الذين أنشأوا الأفلاج خلال (العصر الحديدي)، وبنوا المدافن الكبرى في أم النار قبل ذلك. وهكذا فإن ثقافة مليحة كانت مزيجًا من التأثيرات المحلية والأجنبية ما أدى إلى إنشاء أسلوب حياة بقي سائدًا لقرون عديدة.

كانت ثقافة مليحة مزيجًا من التأثيرات المحلية والأجنبية، والتي نتج عنها أسلوب حياة بقي سائدًا لعدة قرون.

تشكّل مليحة نقطة تحول إلى أسلوب حياة جديد في الإمارات، فقد تنوّع سكان المدينة التي تقع في سهل داخلي خصب بين مزارعين وتجّار وجنود كانوا تحت إمرة قائد واحد، إما ملك أو ملكة. ازدهرت المدينة لقرون عديدة كما تواصل الاكتشافات الجديدة إغناء معلوماتنا عن هذا المكان المدهش.

لكن بعد القرن الرابع، أصبحت مليحة مهجورة، لا نعلم على وجه الدقة سبب ذلك أو من كان المسؤول عنه، ولكن ذلك الحدث التاريخي يختتم فصلًا رائعًا من فصول تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة.

عمل سكان مليحة بالتجارة مع أماكن بعيدة عبر شبه الجزيرة العربية ووصلوا إلى البتراء في جنوب الأردن.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الفصل

11

التجارة البحرية في دولة الإمارات العربية المتحدة منذ فجر الإسلام

منظر للمدافن في مدينة الدور.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

ظل سكان منطقة الإمارات يعيشون ويمارسون نشاطهم الاقتصادي بين المناطق الداخلية والساحلية. من ناحية أولى، لا يزال سكان دولة الإمارات يمارسون الزراعة والرعي في المناطق الداخلية مثل السهول والصحارى والجبال منذ آلاف السنين (انظر الفصل 3). في الماضي، كانت المدن الداخلية مثل مليحة توفر المحاصيل الزراعية والتمور التي احتاجها سكان دولة الإمارات؛ أما في العصر الحديث، تؤدي مدينة العين وغيرها من المدن الداخلية مثل الذيد هذا الدور الاقتصادي في دولة الإمارات العربية المتحدة. من ناحية ثانية، مارست المدن الساحلية مثل أبوظبي، دبي، الشارقة، الفجيرة ورأس الخيمة النشاط التجاري على طول الخليج العربي وحتى المحيط الهندي. ويمكن القول، كان هذا المزيج بين الواحات والجبال والبحر ولا يزال يشكل العمود الفقري للحياة والنشاط الاقتصادي في دولة الإمارات العربية المتحدة.

كانت كل مدينة ساحلية تستقبل البضائع والأفكار الجديدة القادمة من خلف المحيطات، لكنها كانت تحافظ على هويتها الوطنية القوية.

حافظت دولة الإمارات العربية المتحدة على هذا المزيج نفسه من النشاط الاقتصادي عبر تلك القرون الماضية وحتى ظهور الإسلام. وكما رأينا في (الفصل 10) كانت مليحة مركز النشاط الزراعي، وكانت تمارس التجارة مع مختلف مناطق شبه الجزيرة العربية. وفي الوقت نفسه، مارست المدن الساحلية مثل الدور ودبا التجارة البحرية مع غيرها من الجزر مثل صير بني ياس. وبفضل هذا الاحتكاك، كانت كل مدينة ساحلية تستقبل البضائع والأفكار الجديدة القادمة من خلف المحيطات، لكنها كانت تحافظ على هويتها الوطنية القوية.

مدينة الدور والخليج العربي

كانت مستوطنة الدور تقع على ساحل أم القيوين على الخليج العربي (بالقرب من الطريق السريع إلى رأس الخيمة اليوم) مقابل بحيرة ضخمة كانت تتصل بالبحر مما جعل منها مرفأً طبيعيًّا للسفن، ومن المرجح أن القسم الأكبر من مدينة الدور كان بعيدًا قليلًا عن البحر نتيجة لخوف سكانها من أعمال القرصنة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لآلاف السنين، كان السكان يعيشون في مدينة الدور الساحلية وحولها في بيوت شيّدوها من الحجارة التي كانت متوفرة في تلك المنطقة. وقد شهدت الدور زيادة في عدد سكانها ابتدًاء من العام (100) الميلادي. وفي ثمانينات القرن الماضي، وصلت بعثة من علماء الآثار إلى موقع الدور الأثري بحثًا عن القطع المعدنية القديمة. وخلال أعمال التنقيب، اكتشفوا بقايا تلك البيوت منتشرة لعدة كيلومترات على طول الساحل.

معبد في مدينة الدور.

لاحظ علماء الآثار أن إثنين من المباني كانا يختلفان عن بقية المباني المكتشفة في مدينة الدور. كان **المبنى الأول** يتكون من حصن مربع الشكل له جدران سميكة وأبراج دائرية كان يقطن فيه أحد زعماء القبيلة المحليين.

أما **المبنى الثاني** المذهل فقد كان معبدًا مربع الشكل يبلغ طوله (8.3) م، وعرضه (8) م وارتفاعه (2) م تقريبًا، ويكتسب أهميته من أنه المعبد الأول الذي يتم اكتشافه في دولة الإمارات العربية المتحدة. كنا قد تحدثنا في (الفصلين 7 و8) أن السكان كانوا يمارسون نوعًا من الطقوس الدينية في أرجاء الإمارات في أوائل (العصر الحديدي)، لكن علماء الآثار لم يتمكنوا من التعرف على "المعابد" من بين المباني التي اكتشفوها والتي كانت تلك الطقوس تجري فيها، وهذا ما جعلهم يولون اهتمامًا كبيرًا بهذا **المعبد** الذي اكتشفوه في مدينة الدور. شيد السكان هذا المعبد من الحجارة غير المصقولة التي كانت تتوفر آنذاك في تلك المنطقة، وألبسوا الحجارة طبقة رقيقة جدًّا من الجص (الجبس) الأبيض مما جعل تلك الحجارة تشبه قطع الرخام الأبيض جميلة المظهر. كان مدخل المعبد يتجه جنوبًا ويقف عمودان قصيران لهما شكل مربع على جانبيه، ومن المرجح أن هذين العمودين كانا قاعدتين لنسرين نُحتا من الحجارة تم العثور عليهما في مكان آخر من موقع الدور الأثري.

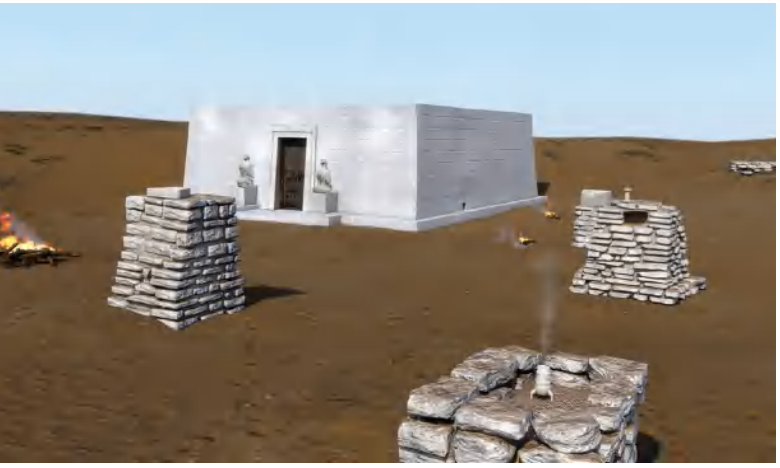

منظر لمعبد مدينة الدور أعيد تصميمه بالحاسوب.

في داخل هذا المعبد، عثر علماء الآثار على مذبح حجري بسيط كان السكان يستخدمونه لتقديم الأضحيات للآلهة، كما عثروا على مذابح مربعة عديدة خارج المعبد مما يعني أن المنطقة المجاورة للمعبد كانت أيضًا مقدسة. كان يوجد على أحد هذه المذابح كتابة باللغة الآرامية تعني بالتأكيد شمس، أي إله الشمس. وهذا ما جعل علماء الآثار يعتقدون أن ذلك المعبد كان مخصصًا لإله الشمس.

منظر لمرفأ مدينة باتانام في جنوب الهند حيث كان التجار من الدور ودبا يتوقفون فيه في القرون الأولى بعد الميلاد.

كان سكان مدينة الدور يدفنون أمواتهم بطريقة مميّزة لاتشبه المناطق الأخرى. فقد كانوا يدفنون الأشخاص الفقراء في حفر بسيطة، بينما كانوا يضعون رفاة الموتى الأغنياء في مدافن مرتفعة تتألف من حجرات مبنيّة من الحجارة المحلية يصل طولها إلى (3) أمتار، وكانوا يدفنون نصفها في الأرض، وينزلون إليها عبر درج، وهذا ما يجعل الدور أكثر المدافن الفردية تطورًا من بين القبور المكتشفة لغاية الآن في دولة الإمارات العربية المتحدة. ومن المحتمل أنها كانت مدافن "عائلية" كان يتم فيها

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مدفن له مدخل بدرجات في مدينة الدور.

دفن مجموعة من الأقارب مع بعضهم البعض، وهذا ما أثبتته بعثة الآثار البلجيكية التي عثرت على مدفن يضم رفات (27) شخصًا. ورغم أن هذا المدفن كان متعدد القبور، إلا أنه يجب التمييز بينه وبين المدافن الجماعية العائدة إلى فترة أم النار (انظر الفصل 5)؛ في أم النار، كانت المدافن جماعية حيث كان يتم دفن عدد كبير من السكان فيها، بينما كانت مدافن الدور متعددة القبور حيث كان يتم دفن مجموعة صغيرة من الناس فيها، وربما كان السبب وراء ذلك أن أهمية الفرد والعائلة كانت تعلو على أهمية القبيلة أو المجتمع المحلي.

التجارة

أصبح سكان مدينة الدور أثرياء من جراء تجارتهم عبر الخليج العربي والمحيط الهندي، فقد كانت الدور تستقبل السفن المحملة بالبهارات وأنواع البخور غير المتوفرة هناك قادمة من اليمن والهند. **كما كان التجار من (بلاد ما بين النهرين) يحملون معهم أوانٍ فخارية كثيرة الزخارف والنقوش والبضائع المعدنية**. ويمكن القول أن هذه التجارة كانت تشبه في بعض جوانبها تلك التجارة التي كانت سائدة خلال (العصر البرونزي) (انظر الفصل 5)، لكن تجارة الدور كانت تختلف في كميات البضائع الضخمة التي كانت تأتي من منطقة الأبيض المتوسط، فقد كان التجار يحملون معهم جرارًا من جزيرة رودس بالإضافة إلى الأواني الفخارية من المدن الإغريقية والرومانية. ويمكن لنا أن نستنتج من ذلك أن مدينة الدور الساحلية كانت جزءًا من حجم النشاط التجاري العالمي الضخم آنذاك. وتؤكد الدراسات التاريخية أن بحارة وتجارًا من الدور كانوا يمارسون نشاطهم التجاري البحري لأجيال عديدة على طول خطوط التجارة البحرية الممتدة من الهند إلى إيطاليا وبالعكس ينقلون معهم بضائع غريبة إلى

عثرت بعثة الآثار البلجيكية على مدفن يضم رفات (27) شخصًا. ورغم أن هذا المدفن كان متعدد القبور، إلا أنه يجب التمييز بينه وبين المدافن الجماعية العائدة إلى فترة أم النار.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وجبات جديدة 1

لا شك أن أي سائح يزور دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم سوف يُصاب بالدهشة من أنواع الطعام العديدة المتوفرة في المطاعم المنتشرة في كل مكان حيث سيجد نفسه أمام خيارات متنوعة بدءًا من الوجبات السريعة الغربية، إلى الأطباق الهندية والأوروبية، وانتهًاء بوجبات من المطبخ الصيني، بالإضافة طبعًا إلى المأكولات المحلية التي ظل سكان الإمارات يطهونها لقرون عديدة باستخدام المنتجات البحرية واللحوم والخضار. وخلال ازدهار مدن مليحة والدور، توفرت بعض البهارات وغيرها من المكوّنات الأساسية في المأكولات المحلية لسكان الإمارات. من تلك المكوّنات نذكر على سبيل المثال الفلفل الأسود الذي كان يُزرع في جنوب الهند، وأصبح جزءًا أساسيًّا من التجارة بين الإمارات والهند في أوائل القرون الميلادية. وما يعزز هذا الاعتقاد أن علماء الآثار عثروا في مدينة برينس في جنوب محافظة البحر الأحمر بمصر، التي يُعتقد أنها كانت على علاقة تجارية مع مدينة الدور، على وعاء يحتوي على (8) كلغ من قرون الفلفل الأسود من الهند والتي ربما وصلت عبر ميناء مدينة باتانام الواقعة على الساحل الجنوبي للهند. ورغم عدم وجود اكتشافات في دولة الإمارات تدل على ذلك، إلا أنه من المرجح أن سكان الإمارات قد تذوقوا الفلفل لأول مرة خلال تلك الفترة التاريخية كما سنحت لهم الفرصة لتذوق القرفة، وهي أحد أنواع البهارات الثمينة التي تُزرع في سريلانكا. وكان سكان الإمارات يستخدمون هذه الأنواع من البهارات بالإضافة إلى اللحوم والخضار المحلية والأرز في طهي طبق المكبوس اللذيذ.

مدن الإمبراطورية الرومانية لم تكن مألوفة لهم. ولابدّ أن هؤلاء البحّارة قد حققوا ثروات طائلة من وراء تلك التجارة، وهذا ما أتاح لسكان مدينة الدور الحصول على البضائع المصنوعة من البرونز والسيراميك من قلب الإمبراطورية الرومانية مثل المغارف والمصافي والأوعية.

كما عثر علماء الآثار في موقع الدور على العديد من القطع النقدية القديمة مما يشير إلى استعمالها المتزايد في التبادل التجاري والتجارة عبر مسافات طويلة. وعثروا في الدور أيضًا على عملة مملكة آبييل المسكوكة محليًّا التي ناقشناها في (الفصل 10) بالإضافة إلى قطع نقدية أخرى مستوردة من مملكة ميسان في جنوب العراق، ومملكة الأنباط في شمال غرب شبه الجزيرة العربية وكذلك من روما. ولا شك أن قطعة نقدية ذهبية من روما هي لقيا ذات أهمية خاصة نظرًا لندرتها في العالم القديم ولأنها تشير إلى العلاقات التجارية التي حافظ سكان مدينة الدور عليها مع عواصم الإمبراطوريات الكبرى آنذاك.

أواني زجاجية رومانية عُثر عليها في مدينة الدور.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

دبا

خلال الفترة الإسلامية الأولى، اشتهرت دبا باعتبارها مركزًا للتجارة البحرية العالمية. فقد أسفرت أعمال التنقيب الحديثة التي قامت بها هيئة الشارقة للآثار عن اكتشاف دليل مذهل جديد على الأهمية التي كانت تتمتع بها دبا كمركز تجاري منذ (2,000) سنة على الأقل. فقد استخرج علماء الآثار مدفنًا ضخمًا يحتوي كميات كبيرة من أواني السيراميك المزخرفة من (بلاد ما بين النهرين)، بالإضافة إلى أوعية زجاجية من روما. كما عثروا في ذلك المدفن على أمشاط مصنوعة من عاج الفيلة وعليها زخارف دقيقة، وكان بعضها موجودًا بالقرب من جماجم الموتى. وقد أثبت العلماء أن تلك الأمشاط صُنعت في الهند لأنها كانت تحمل نقوشًا هندية دقيقة.

أسفرت أعمال التنقيب الحديثة التي قامت بها هيئة الشارقة للآثار عن اكتشاف دليل مذهل جديد على الأهمية التي كانت تتمتع بها دبا كمركز تجاري منذ (2,000) سنة على الأقل.

ومن خلال دراسة الهياكل العظمية الموجودة في ذلك المدفن، حصل العلماء على معلومات كثيرة وقيمة عن حياة ووفاة سكان مدينة دبا. فقد استخرجوا بقايا رفاة (15) شخصًا تضم رجالًا ونسًاء من مختلف الأعمار مما يعني أنه كان مدفنًا عائليًّا. ويُعتقد أن الرفاة تلك تعود لأشخاص كانوا من حكّام مدينة دبا أو على الأقل من كبار الشخصيات فيها. وقد أظهر تحليل عظام وأسنان هؤلاء الأشخاص أن الكثير منهم كان يعاني من صعوبة الحصول على قدر كافٍ من الطعام في فترة الطفولة، فمن المحتمل أن نظامهم الغذائي بشكل عام كان يعتمد على الأسماك والحيوانات البرية والتمور.

وبعد تحليل متأنٍ لعظام الموتى في مدينة دبا، تبين أن بعض الموتى في ذلك القبر كان يعاني من أمراض خطيرة، حيث يرجح العلماء أن داء السل كان منتشرًا بين سكان مدينة دبا وذلك بناء على نتائج التحليل الذي أجراه العلماء على هيكلين عظميين، أحدهما من ذلك المدفن نفسه، والآخر لشخص فقير كان مدفونًا بالقرب من ذلك المدفن. وداء السل مرض شائع ينجم عن بكتيريا تصيب الرئتين تسبب سعالًا ونزيفًا داخليًّا وحمى وتؤدي إلى الموت في حال عدم معالجته للقضاء على البكتيريا. وينتقل داء السل بصورة رئيسة من الشخص المصاب إلى أي شخص قريب عبر السعال والعطس، وهذا ما يجعل من أية سفينة تجارية بيئة

مشط من العاج من دبا.

دبابيس ومخارز عاجية من دبا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

منظر لأحد المدافن في دبا.

مثالية لانتشار هذا الداء، وهذا أيضًا ما يفسر انتشاره في مدينة دبا. فمن المعروف أن ميناء دبا كان يزدحم بالسفن والتجار من العراق، وجنوب آسيا، ومصر، واليمن، كما أن الكثير من هؤلاء البحّارة كانوا يبحرون إلى دول أخرى مثل فلسطين، واليونان وإيطاليا وربما إلى أسبانيا. ونظرًا لأن داء السل يستطيع أن يعيش في جسم الإنسان لسنوات عديدة، فإنه يستطيع الانتشار بسرعة فائقة عبر كل العالم الذي كان معروفًا آنذاك. لذلك من المرجح أن السفن التجارية التي كانت تنقل البضائع الثمينة من مسافات طويلة، قد نقلت معها أيضًا داء السل.

آنية زجاجية رومانية عُثر عليها في دبا.

كما كشفت التحليلات التي أجراها العلماء على جمجمتين من ذلك المدفن عن دليل واضح على وجود أعمال العنف في تلك الفترة. فقد تبين أن أحد هذين الشخصين الذي يتراوح عمره بين (40) و(60) سنة قد تعرّض لضربتين بأداة ثقيلة على رأسهم مما أدى لوفاته حيث تم استخدام الأداة نفسها في كلتا الضربتين، وكانت كل ضربة قوية لدرجة أن الأداة قد اخترقت الجمجمة. أما الجمجمة الأخرى فتعود لشخص يتراوح عمره بين (30) و(50) سنة وقُتل بطريقة مشابهة لكن مع وجود أثر واحد لضربة اخترقت الجمجمة من جانب. يرجح العلماء أن آلة حادة مقذوفة من قوس نشاب قد تسببت بهذه الضربة.

لا يعرف العلماء كيف مات هذين الشخصين، لكنهم متأكدون من أنهما قد حظيا باحترام في دفنهما نتيجة مجموعة واسعة من الأشياء الثمينة معهما.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

التعرّف على الأمراض القديمة

أسفرت الدراسات التي أجراها العلماء على الهياكل العظمية المكتشفة في مدينة دبا عن معلومات مهمة حول صحة الناس الذين تم دفنهم هناك. يستطيع أي طبيب اليوم تشخيص أي مرض مثل داء السل من خلال إجراء صورة بالأشعة السينية للرئتين ودراسة آثار الإصابة بهذا المرض. بالطبع لم يعثر العلماء على بقايا رئات أو غيرها من الأنسجة الرقيقة على الهياكل العظمية القديمة، كما أن البكتيريا التي تسبب داء السل قد ماتت منذ فترة زمنية طويلة. وهذا ما دفع إلى الاستعانة بعلماء آثار تم تدريبهم على التعامل مع هذه الحالات الخاصة من أجل اكتشاف الأمراض من خلال دراسة التغيرات التي طرأت على العظام. ورغم ذلك، لا يستطيع هؤلاء العلماء تحديد الأمراض بالضبط، ولكنهم توصلوا إلى مجموعة من الاحتمالات، واستبعدوا بعضها بناء على اكتشاف بعض الأدلة. وإذا ما طبقنا هذه المقاربة على الهياكل العظمية المكتشفة في مدافن مدينة دبا، لا نستطيع أن نؤكد كليًّا أن هؤلاء الموتى كانوا يعانون من داء السل في حياتهم، لكن الدليل يتطابق مع ذلك الاستنتاج.

صورة لهياكل عظمية في أحد مدافن دبا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

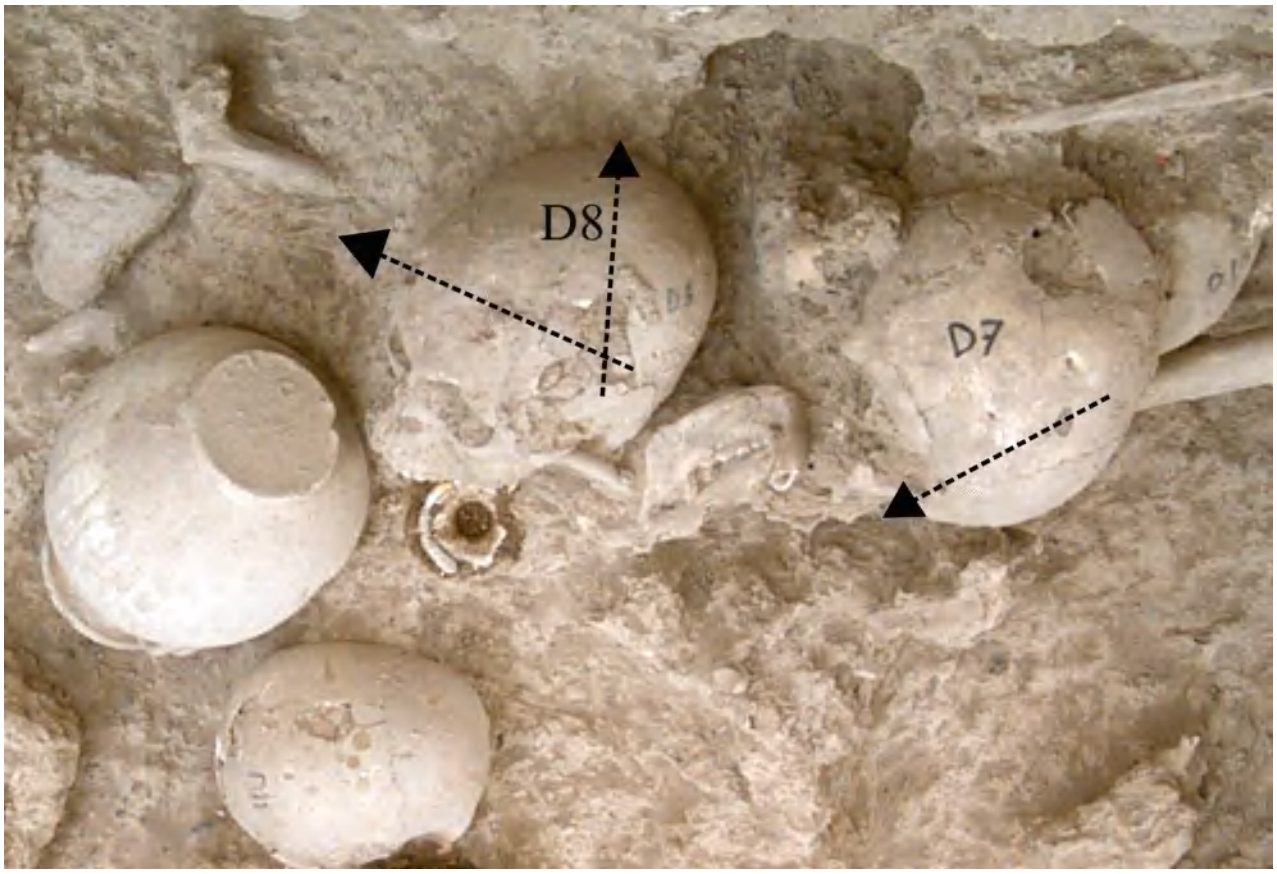

جماجم محاربين قتلى من دبا. تشير الخطوط على هذه الجماجم إلى المواضع التي تعرضت للضرب بالأسلحة حسب اعتقاد العالم بعلم الإنسان المادي.

التجارة والتسامح

تشكّل كل واحدة من مدن الدور، ومليحة (انظر الفصل 10)، ودبا، لغزًا محيّرًا يساعدنا إذا فككنا رموزه أن نعرف كيف كان سكان الإمارات قديمًا يتعاملون مع المناطق المجاورة منذ العام (250) ق.م وحتى ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي، حيث ساهمت التجارة البحرية والبرية في قدوم بضائع جديدة وثمينة إلى الإمارات، لكنها في الوقت نفسه جلبت معها لغات جديدة وديانات جديدة التي تفاعلت مع منظومة المعتقدات التي كانت سائدة قديمًا في هذه المنطقة.

ساهمت التجارة البحرية والبرية في قدوم بضائع جديدة وثمينة إلى الإمارات، لكنها في الوقت نفسه جلبت معها لغات جديدة وديانات جديدة التي تفاعلت مع منظومة المعتقدات التي كانت سائدة قديما في هذه المنطقة.

لقد أسفرت أعمال التنقيب في مختلف المواقع الأثرية في دولة الإمارات العربية المتحدة عن العديد من الاكتشافات القيّمة، ويتمثل أحد أكثر هذه الاكتشافات قيمة في كيف ساعدت هذه التجارة على ترسيخ قيمة التسامح لدى سكان الإمارات. وللدلالة على ذلك، نذكر جزيرة صير بني ياس التي تبعد حوالي (200) كلم من أبوظبي والمعروفة جيدًا لسكان دولة الإمارات اليوم، والتي حوّلها المغفور له - بإذن الله - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - مؤسس دولة الإمارات وأول رئيس لها، إلى محمّية طبيعية مهمة. في القرن السابع الميلادي، كانت جزيرة صير بني ياس مركزًا لتبادل الأفكار التي تصل منطقة الخليج العربي ببقية العالم. وفي تلك الفترة كما سنرى في الفصول القادمة، ظهر الإسلام وانتشر في جميع أرجاء المنطقة. وفي تلك الفترة الزمنية بالذات، كانت هناك مجموعة صغيرة من الناس يمارسون أحد أشكال الديانة المسيحية، وكانوا قد بنوا ديرًا لهم في جزيرة صير بني ياس، وظل ذلك الدير قائمًا طيلة قرن من الزمن أو أكثر بعد انتشار الإسلام.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

منظر اللقى المستخرجة من صير بني ياس.

يتكوّن الدير من مبنى ضخم في الوسط يتراوح طوله بين (70) و(90) مترًا تحيط به مبانٍ صغيرة عبارة عن بيوت بسيطة مكونة من عدة غرف وأرضيتها مطلية بالجص كان يسكنها كبار الرهبان. وضمن هذا المجمع، توجد مساحات مفتوحة من الأرض كان الرهبان يعملون فيها، وكانوا يربّون حيوانات مدجّنة ربما خارج المجمّع الرئيس، كما كانت هناك كنيسة بسيطة تمت توسعتها وإضافة مبانٍ إليها عبر عدة عقود. ومن الاكتشافات الاستثنائية في ذلك الموقع قطع من الجص المزخرفة صنعها حرفيّون

وجبات جديدة (2)

يُعتبر الدجاج من أكثر أنواع اللحوم استخدامًا في الطعام في دولة الإمارات العربية المتحدة في الوقت الحاضر، حيث تتنوع طرق استخدام الدجاج في إعداد المأكولات التقليدية الإماراتية وذلك بالاستفادة من المواد والبهارات المتوفرة. بالطبع لم يكن الدجاج متوفرًا في أرض الإمارات لفترات تاريخية طويلة في الماضي السحيق. ويُعتقد أن الإنسان قد استطاع تدجين الدجاج من النوع البريّ من الطيور على الأرجح من دجاجة الأدغال وذلك حوالي (3,000) سنة قبل الميلاد في شرق آسيا. وظل الدجاج طائرًا نادرًا جدًّا في الشرق الأوسط لغاية أواخر الألفية الأولى كما يعود ظهوره لأول مرة في الإمارات لفترة متأخرة بعد ظهوره في بقية دول الشرق الأوسط حيث تم اكتشاف عظام الدجاج في أحد المدافن في مدينة دبا، ولكن ليس من المؤكد أن تلك العظام تعود إلى الفترة التاريخية نفسها التي تم فيها دفنها. ربما يكون من المنطقي أن نستنتج أنه تم استيراد الدجاج لأول مرة إلى الإمارات خلال تلك الفترة التاريخية التي ازدهرت فيها التجارة مع الهند. وما يعزز هذا الاعتقاد أنه تم استيراد البهارات المستخدمة في طهي الدجاج خلال تلك الفترة التاريخية نفسها. ومع نهاية الألفية الأولى، أصبح الدجاج من المأكولات الشائعة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مهرة وتشبه قطعًا تم العثور عليها في كنائس مماثلة في مواقع أثرية أخرى من منطقة الخليج العربي. تثبت الأواني الفخارية المكتشفة في دير جزيرة صير بني ياس أن الرهبان الذين عاشوا هناك كانوا يتاجرون على نطاق واسع مع المجتمعات الأخرى في الخليج العربي وما وراءه. ويبدو أنهم على الأقل قد حصلوا على بعض تلك الأواني الفخارية من المجتمعات التي كانت تسكن في البرّ حول جزيرة أبوظبي.

في الواقع، لم يظل الدير في جزيرة صير بني ياس معمورًا، بل أصبح مهجورًا وذلك بعد أن ظل مزدهرًا لعدة عقود أو ربما لأكثر من قرن في الفترة التي كان فيها سكان البر من حولهم يعتنقون الإسلام.

إفريز مصنوع من الجص في كنيسة صير بني ياس

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

منظر للخليج في ميناء قنا في اليمن. كانت الموانئ مثل قنا مهمة لنقل البخور عبر منطقة المحيط الهندي بما في ذلك إلى موانئ مثل دبا والدور.

كان أول ظهور للدين الإسلامي في الإمارات في العام (632) م، وسرعان ما اعتنق سكان الإمارات الإسلام. لكن ذلك لم يمنعهم من التواصل والتعامل مع الأشخاص الآخرين الذين كانوا يؤمنون بديانات أخرى. ذلك أن التسامح الذي أظهره سكان الإمارات تجاه الديانات والشعوب الأخرى كان نتيجة لقرون طويلة من نشاطهم التجاري في كل من مليحة والدور ودبا مع دول العالم. صحيح أن الإمارات كانت تتبادل البضائع خلال تلك القرون، لكنها كانت أيضًا تتبادل الأفكار مع التجّار والبحّارة الذين كانوا يصلون إلى موانئها، وقد ساعدها موقعها الجغرافي المتميّز على تبادل الأفكار الجديدة والاطلاع على المعتقدات المختلفة حيث تقع دول المحيط الهندي إلى جنوبها، بينما يمتد بقية الشرق الأوسط إلى شمالها. بمعنى آخر، كانت الإمارات آنذاك، مثلما هي الآن في العصر الحديث، موطنًا عالميًّا غنيًّا بالثقافات ترحب بالشعوب المنحدرة من حضارات مختلفة، لكنها في الوقت ذاته تحافظ بشدّة على وعيها بتاريخها وهويتها وانتمائها إلى جذورها القبلية. ورغم أن الإمارات كانت تستقبل بسرور البضائع الجديدة والفاخرة من مناطق بعيدة مثل روما والهند، إلا أنها كانت تولي أهمية كبيرة للروابط الاجتماعية التي كانت تشكّل جوهر مجتمع عاش في هذه المنطقة منذ آلاف السنوات.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الفصل

12

بزوغ فجر الإسلام

منظر للمسجد في قرية البدية، وهو من أقدم المساجد التي لا تزال تُقام فيها الصلاة في دولة الإمارات العربية المتحدة. انتشر الدين الإسلامي بسرعة في دولة الإمارات علمًا أن العديد من أماكن الصلاة كانت عبارة من مبانٍ في غاية البساطة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

بحلول القرن السادس الميلادي، كانت منطقة الإمارات وأجزاء من جنوب شرق شبه الجزيرة العربية تخضع لحكم آل الجلندى؛ وهي سلالة حاكمة تنتمي إلى قبيلة احتلت مساحات واسعة من المنطقة بعد أن هاجر أفرادها على مدى قرون عديدة من مناطق مختلفة في شبه الجزيرة العربية إلى منطقة الإمارات و عُمان.

ومن المؤكد أن زعماء عائلة الجلندى كانوا يتمتعون بصلاحيات اقتصادية وسياسية واسعة حيث كانوا يجبون الضرائب في البريمي (العين) . كانت دبا في ذلك الوقت ميناءً شهيرًا يستقبل السفن القادمة من مختلف المناطق عبر المحيط الهندي. **وفي وقت لاحق كتب المؤرخ محمد بن حبيب من القرن التاسع الميلادي عن معرض تجاري كان يُقام في دبا** مشيرًا إلى أن دبا كانت أحد الموانئين العربيين في المنطقة، وكان يقصدها التجار من بلاد السند والهند والصين والناس من الشرق والغرب. كانت دبا تقيم هذا المعرض في اليوم الأخير من رجب (الشهر السابع في التقويم الإسلامي). وكان التجار يتعاملون بالمقايضة. وكان الجلندى بن المستكبر يفرض دفع العُشر (ضريبة قدرها 10%) في هذا المعرض كما في صحار، حيث كان معتادًا على التصرف هناك كغيره من الملوك في مناطق أخرى".

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

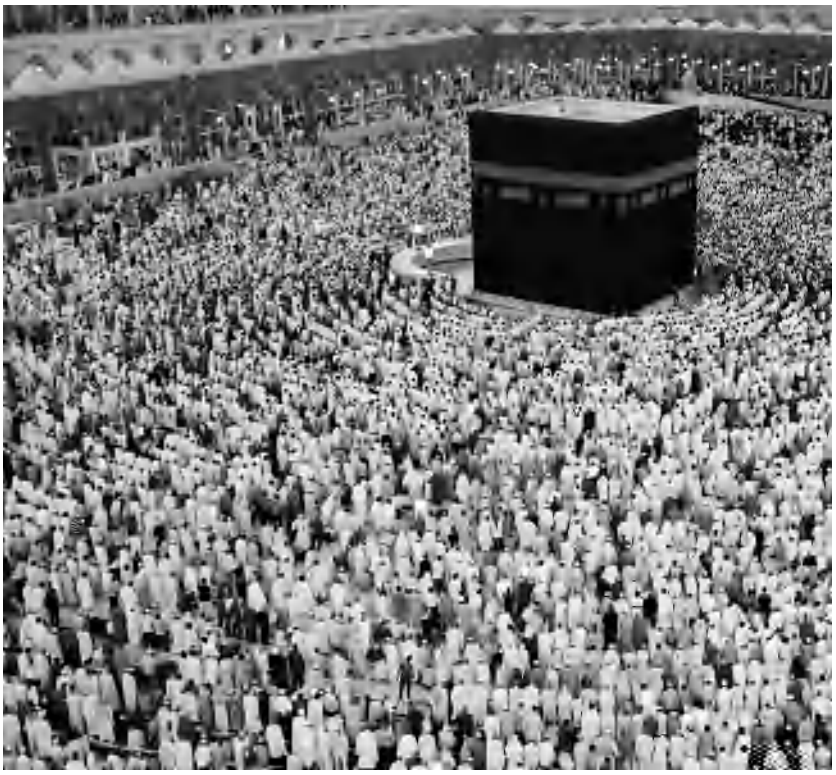

صورة الكعبة المشرفة في مكة المكرمة

ظهور الإسلام

في مطلع القرن السابع الميلادي، شهدت شبه الجزيرة العربية تغيّرات مهمّة كان أبرزها تأسيس نظام ديني واجتماعي جديد وفق تعاليم الدين الإسلامي الذي أرسى دعائمه رسولنا محمد - صلّى الله عليه وسلّم - ليحلّ مكان النظام القديم. بدأ النظام الجديد بهبوط الوحي على النبي الكريم محمد - صلّى الله عليه وسلم - الذي وُلد في مكة المكرمة عام (571)م وأمره رب العالمين تبليغ رسالة التوحيد ودعوة الناس إلى الإيمان بالله وحدة لا شريك له، هاجر النبي - صلّى الله عليه وسلم - إلى المدينة المنورة في عام (622)م، وهناك آخى بين الأنصار والمهاجرين ووحد بين القبائل بعد دخولها في الإسلام. يمثل ذلك العام بداية التقويم الإسلامي (1) هجري. عاد النبي محمد - صلّى الله عليه وسلم - والمهاجرين إلى مكة وفتحها الله عليهم فتحًا مبينًا، وعفا عن المشركين ومن ثم انتشر الإسلام في كافة أنحاء شبه الجزيرة العربية.

توجد عدة روايات تاريخية توضح متى وكيف وصل الإسلام إلى الإمارات وعُمان. **يذكر المؤرخ الشهير الطبري في إحدى هذه الروايات أنه في عام (632)م (11)هـ أرسل النبي محمد - صلّى الله عليه وسّلم - رسوله عمرو بن العاص إلى ولدي الحاكم الجلندى الذي كان قد توفي**؛ وقبل ولداه جيفر وعمرو الجلندى الدين الجديد وأشهرا إسلامهما، كما سمحا بجمع الزكاة من الأغنياء من أجل إعادة توزيعها على الفقراء. كما تُجمع الروايات الأخرى الواردة في مصادر تاريخية مختلفة أن الحكام المحليين في الإمارات و عُمان قد اعتنقوا الإسلام. من ناحية ثانية، أدى اعتناق الدين الإسلامي الجديد الذي ظهر في قلب شبه الجزيرة العربية إلى تعزيز سيطرة الحكّام المحليين.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وبرغم أن غالبية سكان الإمارات قد اعتنقوا الإسلام بسهولة، إلا أنهم لم يعمدوا إلى إقصاء أتباع الديانات الأخرى أو إجبارهم على تغيير دينهم ودخول الإسلام، فقد استمر وجود الكنيسة وازدهارها على جزيرة صير بني ياس لفترة طويلة خلال العصر الإسلامي، وهذا يُظهر بوضوح بداية التسامح الديني الذي لا يزال من الصفات الأساسية لدولة الإمارات العربية المتحدة في الوقت الحاضر.

ولكن بعد وفاة النبي محمد - صلّى الله عليه وسلّم - في عام (633)م (11)هـ، اندلعت حرب أهلية لفترة قصيرة في عُمان والإمارات حيث تمرّد أحد الزعماء المحليين البارزين ويُدعى (ذو التاج لقيط بن مالك) على سلالة الجلندى الحاكمة، وارتدّ عن الدين الجديد. وحسب بعض المصادر التاريخية، قام جيفر، أحد أفراد عائلة الجلندى الحاكمة، بطلب المساعدة من أبي بكر الصدّيق - رضي الله عنه، أول خليفة للمسلمين، **فأرسل له جيشًا، ونشبت معركة كبيرة في المنطقة المعروفة الآن باسم "دبا" وذلك في نوفمبر (633)م (11) هـ.**

حسب الروايات التاريخية، جرت هذه المعركة في السهول الواقعة خلف مدينة دبا وقتل خلالها (10,000) شخص، وحسب روايات سكان تلك المنطقة حاليًّا تحتوي المقبرة الكبيرة نفسها الموجودة في دبا على جثث القتلى. كانت هذه المعركة التي تُذكَر باسم **"يوم دبا"** واحدة من الحروب المعروفة باسم "حروب الرّدة" (أو حروب المرتدّين عن الدين) والتي جرت في مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية بعد وفاة النبي - صلّى الله عليه وسلّم - وتنصيب أبوبكر الصدّيق - رضي الله عنه - خليفة للمسلمين.

وقد تجرّع المرتدّون مرارة الهزيمة على الدّوام وتمكّن الخليفة أبوبكر الصدّيق - رضي الله عنه - من السيطرة على شبه الجزيرة العربية، ومن ثم حوّل اهتمامه إلى محاربة البقايا الأخيرة للإمبراطورية الساسانية في العراق وإيران بالإضافة إلى سورية فانتشر الإسلام في أنحاء الشرق الأوسط كافة.

خلال القرون التالية، خضع سكان جنوب شرق شبه الجزيرة العربية إلى حكم سلالات مختلفة أتى بعضها من المناطق المجاورة مثل القرامطة من الإحساء في شرق شبه الجزيرة العربية، وسلالة البويهيين الحاكمة من شمال إيران التي طالبت بجزء من المنطقة، ولا يمكن الجزم تمامًا أن الرغبة بالسيطرة على الموانئ المليئة بالحركة التجارية هي ما كانت وراء محاولات السيطرة هذه. وتدل مجموعة القطع النقدية التي عُثر عليها في رأس الخيمة عام 1965م على اتساع النشاط والتبادل التجاري في تلك الفترة، ويعود تاريخ معظم هذه القطع النقدية إلى الفترة الواقعة بين عامي (921)م و(980)م أي إلى سلالة البويهيين الحاكمة، ولكن يوجد بينها أيضًا قطع نقدية تعود إلى سلالة السامانيين الحاكمة في سمرقند وبخارى فيما يُعرَف حاليًا باسم أوزبكستان.

عملات نقدية معدنية تعود إلى العصر الإسلامي من العين.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

صورة داخلية لنظام الفلج المبني من الآجر في العين ويعود تاريخه إلى مطلع العصر الإسلامي.

الحياة في الإمارات في مطلع العصر الإسلامي

أضفى الإسلام الكثير من الاستقرار على الحياة اليومية في الإمارات، ورغم أن معلوماتنا قليلة عن النشاط الاقتصادي آنذاك، إلا أن الآثار كشفت عن بعض ملامحه. مثلًا، نظام الفلج للري الذي تم استخدامه لأول مرة قبل (2500) سنة بقي جزءًا مهمًّا من حياة سكان الإمارات، وقد كشف البحث الذي أجرِي مؤخرًا في العين عن أنظمة فلج محفوظة من هذه الحقبة. وعلى الرغم من نشوء هذه التقنية في (العصر الحديدي)، إلا أن الناس حسنوا بناء الفلج بدرجة كبيرة في مطلع العصر الإسلامي حيث أصبحت القنوات تُبنى من الآجر الحراري كي لا تنهار. وعلى الرغم من قدرتنا على التأكد من المحاصيل التي كانت تُزرع آنذاك، إلا أنه من المرجح أن هذه المحاصيل شملت الحبوب كالقمح والشعير.

شرحنا في الفصول السابقة كيف أتت نباتات وفاكهة وحتى توابل جديدة كالفلفل إلى منطقة الإمارات خلال (العصر الحديدي) وأواخر العصر الجاهلي (ما قبل الإسلام). شهد مطلع العصر الإسلامي تدفق أنواع جديدة من الفاكهة من شرق آسيا استطاع الناس زراعتها بالاعتماد على نظام الفلج للري. وكل أنواع الفاكهة التي نسلّم بها جدلًا اليوم كالموز، والبرتقال، والليمون، والبطيخ، والعنب، والمشمش، والمانجو دخلت بعد عام (1000)م تقريبًا، وفي النهاية زرعها سكان المنطقة في الجبال والسهول المجاورة.

أيضًا كشفت أعمال التنقيب في العين عن أدلة على مسجد قديم مبني من الطوب الطيني وهو حاليًا أقدم مسجد تم اكتشافه في دولة الإمارات العربية المتحدة وعلى الأرجح يعود تاريخه إلى العصر العباسي تقريبًا (القرنان الثامن والتاسع الميلاديان). يُظهر هذا المسجد الدور المهم الذي بدأ الإسلام بتأديته في الحياة اليومية في دولة الإمارات، وهو من قبيل المصادفة يقع بالقرب من المسجد الجديد وجميل التصميم الذي يحمل اسم الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة - حفظه الله.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وصول السفن الصينية إلى الخليج

لم تقتصر معرفة كيفية الإبحار عبر المحيط الهندي على البحارة العرب مثل ابن ماجد، فبين عامي (1414) و(1433) م أبحرت أربع حملات تحت قيادة الأميرال الصيني الشهير "زينغ هي" من الصين إلى مضيق هرمز وإلى شمال شرق أفريقيا، وكانت سفنه الضخمة أكبر السفن الموجودة آنذاك وتحمل على متنها مئات البحارة. لا بد أن العديد من البحارة العرب من جلفار وغيرها من الموانئ الإماراتية رأوا هذه السفن، ولكننا لا نملك أي إثبات بخصوص ما فكروا به. ومن الآن فصاعدًا أصبحت الأواني الفخارية والخزفية المستوردة من الصين أكثر شيوعًا في منطقة الإمارات، وهذا يدلّ على توسع التجارة.

نعلم من خلال المؤرخين الذين أرخوا تلك الفترة أن الإمارات أصبحت أيضًا جزءًا مهمًّا من شبكة تجارية امتدت عبر منطقة الخليج العربي وأماكن أخرى. في بحثه الجغرافي خلال القرن التاسع الميلادي، يشير أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة إلى أهمية منطقة بينونة في غرب أبوظبي. وخلال القرن التالي يذكر المقدسي مدينتي جلفار ودبا، كما ورد ذكر هاتين المدينتين في البحوث الجغرافية والروايات اللاحقة حول الأسفار.

تتزامن هذه المصادر التاريخية مع توسع المعرفة والثقافة الذي رسم ملامح مطلع العصر الإسلامي في أنحاء الشرق الأوسط كافة. بعد وفاة النبي محمد - صلّى الله عليه وسلّم - عمل الخلفاء المسلمون على توسيع رقعة الفتوحات الإسلامية؛ على سبيل المثال، خلال فترة الخلافة الأموية (661 - 750)م انتشر الإسلام في مختلف أنحاء شمال أفريقيا ووصل إلى أسبانيا، ووصل شرقًا إلى جنوب آسيا. تميّز العصر الأموي بازدهار مشاريع البناء والمعرفة؛ وانتشار اللغة العربية من شبه الجزيرة العربية إلى أجزاء واسعة من العالم المعروف، وتم إنشاء مساجد جميلة وشهيرة مثل قبة الصخرة في مدينة القدس وأعمال الترميم في المسجد الأقصى في فلسطين.

استمر ازدهار العلوم والآداب ومشاريع البناء الجميلة خلال العصر العباسي حيث ازدهرت الجامعات، وتوصل العلماء المسلمون إلى اكتشافات مهمة في علوم الرياضيات والفلك والكيمياء. ونشطت حركة الترجمة وربما وصل جزء من هذه المعرفة إلى منطقة الإمارات في مطلع العصر الإسلامي.

تتزامن هذه المصادر التاريخية مع توسع المعرفة والثقافة الذي رسمت ملامح مطلع العصر الإسلامي في أنحاء الشرق الأوسط كافة.

منظر لأحد المساجد من صدر الإسلام في مدينة العين.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

منظر لمدينة جلفار في رأس الخيمة.

التجارة وتطور جلفار

كانت التجارة البحرية والبرية سببًا رئيسًا في تطور الإمارات آنذاك. ونستطيع أن نتعرّف على الأنشطة التجارية التي كانت منتشرة على نحو واسع في الإمارات من خلال الآثار الموجودة في دولة الإمارات العربيةالمتحدة، وخاصّة في الإمارات الشمالية. فقد كان سكان الإمارات يستوردون الأواني الفخارية من العراق والهند واليمن خلال الفترة الممتدة من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر الميلادي؛ ورغم أن التجارة مع هذه البلدان قديمة العهد، إلا أنها امتدت أيضًا إلى الصين وشرق آسيا خلال هذه القرون، واعتمدت على الطرق البحرية التي كانت موجودة منذ (العصر البرونزي).

كانت مدينة **جميرا** في دبي إحدى أهم المدن الإماراتية في تلك الفترة التاريخية. ورغم أن العلماء لم يعرفوا بعد كيف كان تصميمها، يبدو أن عدة مبانٍ كبيرة - ربما تشمل حصنًا ومنازل - كانت موجودة في المنطقة في نهاية الألفية الأولى بعد الميلاد. وقد رأى بعض العلماء أنها كانت عبارة عن نُزل للقوافل التجارية أو قرية تجارية صغيرة. ومن القرى الساحلية المهمة في مطلع العصر الإسلامي، نذكر مدينة كوش في رأس الخيمة التي شهدت تطورات كثيرة آنذاك. على سبيل المثال، ظهرت القهوة في كوش خلال القرن الثاني عشر الميلادي، كما يوجد زجاج وخزف مستورد من العراق وجنوب آسيا وهذا يدل على ازدهار التجارة.

تُعتبر جلفار في رأس الخيمة أهم مدينة نعرف بوجودها في تلك الفترة التاريخية. وقد كشفت أعمال التنقيب أن جلفار كانت مدينة وميناء شهدا نموًّا سريعًا مع تزايد التجارة البحرية عبر الخليج العربي والمحيط الهندي. يعود تاريخ المرحلة الأولى لاستيطان السكان فيها إلى الفترة الممتدة من

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

صورة لمدينة جلفار أعيد تصميمها بالحاسوب.

بداية القرن الرابع عشر الميلادي حتى منتصفه وخلال هذه الفترة كانت جلفار تتكون من أكواخ عريش بسيطة يقيم فيها صيادو السمك. وانخرط هؤلاء الصيادون في أنشطة تجارية عَرضية مع السفن العابرة، وربما مارسوا تجارة اللؤلؤ التي اكتسب أهمية في ذلك الوقت. **وفي أواخر القرن الرابع عشر الميلادي كبرت هذه المدينة وتم بناء أول مسجد فيها من الطوب الطيني**. أيضًا تم بناء بعض المنازل الطينية ولكن بقي الجزء الأكبر من المدينة مكوّنًا من بيوت العريش. وفي القرن التالي نمت المدينة بسرعة وتم بناء منازل أكبر حجمًا، كما توفّر مخطط لشارع منظّم. كذلك تم توسيع المسجد وبناء حصن في وسط المدينة، وبناء سور ضخم جدًّا حول المدينة.

وسائل الملاحة المساعدة (1): "الأصابع"

كان الإبحار من شبه الجزيرة العربية إلى أفريقيا أو الهند أو آسيا يتطلب الإبحار على طول خطوط العرض نفسها عبر المحيط الهندي. تمتد خطوط العرض حول الأرض من الشرق إلى الغرب بينما تمتد خطوط الطول من الشمال إلى الجنوب، وإذا لم يسلك البحّار خط العرض نفسه، فمن الممكن أن يضيّع وجهته ويبحر إلى جنوب الهند. لذلك، كان الإبحار من مسقط إلى غوجارات يتطلب البقاء على خط العرض (23.5) درجة شمالًا (المعروف أيضًا باسم مدار السرطان). وبدون جهاز تحديد المواقع العالمي، كانت الطريقة الوحيدة للقيام بذلك تتمثل بتوجيه السفينة استنادًا إلى علامة "ثابتة" أخرى في السماء. رأى البحّارة العرب مثل أحمد بن ماجد أن قياس موقع السفينة استنادًا إلى مكان رؤية نجم ما فوق خط الأفق هو الطريقة الصحيحة لعمل ذلك، فكان البحّارة يقيسون المسافة باستخدام أصابعهم عبر التأكد من وجود نجم القطب (أو نجوم مشابهة) دائمًا فوق خط الأفق بنفس العدد من الأصابع. وإذا زاد عدد الأصابع من يوم لآخر فيعني ذلك أن السفينة تبحر أبعد مما يجب نحو الشمال، أما إذا نقص عدد الأصابع فهذا يعني أنها تبحر أبعد مما يجب نحو الجنوب. كان هذا النظام أكثر دقة بكثير مما قد يظنّه المرء حيث كان يتم تقسيم الإصبع إلى (8) أجزاء وكان الملاح نفسه يتأكد من استخدام الأصابع نفسها لأخذ القياسات اليومية.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وسائل الملاحة المساعدة (2): "الكمال"

كان البحّارة الإماراتيون يستخدمون "الكمال" لتحديد خط العرض الذي تبحر عليه السفينة، وكان هذا النظام أكثر دقة من الأصابع وعلى الأرجح ابتكره البحّارة العرب في القرن التاسع الميلادي. و"الكمال" عبارة عن قطعة صغيرة مصنوعة من الخشب كانت تُربط بحبل عليه سلسلة من العقد التي تمثّل كل منها خط عرض محددًا، حيث يمسك الملاح الحبل بأسنانه عند العقدة التي تمثّل خط العرض المرغوب للسفينة، ويكون إبحار السفينة على خط العرض ذاك عندما تكون الحافة السفلى للقطعة الخشبية على خط الأفق بينما تصطف الحافة العليا مع نجم القطب. كان أسلوبا الأصابع والكمال في غاية الأهمية لتطّور الملاحة العربية، وفي ذلك الوقت لم يكن البحارة الأوروبيون يمتلكون مثل هذه الأساليب وإنما كانوا يعتمدون على مراقبة ارتفاع الشمس؛ وهذه الطريقة يمكن أن تكون غير فعّالة لأن موقع الشمس يتغير خلال مسار العام. في نهاية القرن الخامس عشر بدأ البحارة الأوروبيون باستخدام نظام الملاحة العربي، مما أتاح للبرتغاليين البدء بالتجارة مع الهند ومناطق الشرق الأقصى.

ارتبط تطوّر جلفار بتوسّع التجارة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين. وفي هذه الفترة كانت مملكة هرمز الواقعة على جزيرة هرمز مقابل جلفار تمامًا عبر الخليج العربي قد أصبحت مركزًا تجاريًّا مهمًّا حيث كانت تمارس التجارة عبر مسافات بعيدة مع الصين والهند وشبه الجزيرة العربية؛ واستفادت جلفار من ذلك عبر الحصول على منفذ إلى هذه الأسواق الجديدة وتوفير مدينة تتضمن مينًاء مهمًّا على ساحل شبه الجزيرة العربية.

ونتيجة لازدهار جلفار، شهد اقتصاد المنطقة الخلفية من جلفار نموًّا حيث كانت السهول الخصبة المحيطة بمنطقة "خت" في رأس الخيمة تقدم محاصيل زراعية مهمة، وتوسعت صناعة الخزف المحلية مع نمو المدينة، كما نشأت معامل صغيرة لتصنيع الأواني المميّزة حول منطقة "شمل" واستمر العديد من هذه المعامل بالإنتاج لفترة طويلة بعد أفول نجم جلفار.

صورة لمدينة جلفار يظهر فيها المسجد وقد أعيد تصميمها بالحاسوب.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ابن ماجد والملاحة البحرية

ليس مستغربًا أن سكان الإمارات قد اشتهروا خلال تلك الفترة التاريخية بمعرفتهم بالبحر وعلم الملاحة البحرية. وقد اشتهر من بينهم **أحمد بن ماجد الذي وُلد في جلفار حوالي عام 1421م**، واشتهر على نطاق واسع بأنه كان أحد البحّارة الأوائل في زمانه وكان يجمع بين المعرفة بصناعة البحر والقدرة على الملاحة بالاعتماد على النجوم. من أهم أعماله "كتاب الفوائد" (أي كتاب المعلومات المفيدة) والذي يتضمن الوصف الأكمل والأحدث لعلم الملاحة والمسائل العملية التي كانت تشملها صناعة الملاحة آنذاك. تضمن هذا الكتاب وصفًا لكيفية الملاحة عبر الرياح الموسمية المتنوعة التي كانت تنشط في المحيط الهندي وكذلك رياح البحر الأحمر التي كان من الصعب جدًّا الملاحة عبرها. أيضًا قدمت أعماله الأخرى ملاحظات مفصّلة وتوصيفات للموانئ والطرق البحرية عبر المحيط الهندي من البحر الأحمر وصولًا إلى جنوب شرق آسيا. والوسائل المساعدة في الملاحة التي قدّم وصفًا لها (انظر إلى الفقرتين "وسائل الملاحة المساعدة 1 و2") على الأرجح استخدمها البرتغاليون لاحقًا للإبحار من الساحل الشرقي لأفريقيا إلى دولة الإمارات العربية المتحدة والهند والشرق الأقصى.

بحلول القرن السادس عشر الميلادي كانت المنطقة، التي أصبحت لاحقًا دولة الإمارات العربية المتحدة، تقع في مركز التجارة عبر المحيط الهندي. وكان الدين الإسلامي قد ترسّخ في كافة أنحاء المنطقة؛ وتكوّن شعور قوي بالهوية الوطنية يقوم على هذا الدين وعلى ممارسة التجارة لعدة قرون واستغلال الموارد الطبيعية الكثيرة في المنطقة. وبعد وقت قصير، لفت موقع دولة الإمارات العربية المتحدة ونجاحها انتباه البلدان الناشئة في أوروبا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الفصل الدّراسي الثّالث

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

13

ظهور بني ياس والقواسم ووصول القوى الأجنبية إلى منطقة الخليج العربي: (1600-1800م)

الهجوم على رأس الخيمة في عام 1809.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

بناءً على ما ذكرناه في الفصول السابقة، نستطيع أن نجزم القول أن الإمارات ظلت مأهولة بالسكان طيلة (10,000) سنة وذلك لغاية عام 1500م. وخلال تلك السنوات الطويلة، ابتكر سكان الإمارات أسلوب حياة مذهلًا يعتمد على التكيّف مع بيئة فريدة من نوعها، نتيجة للتغيرات المناخية ومحاولات القوى الأجنبية للسيطرة على بلادهم، وفي الوقت نفسه استفادوا من التعامل مع جيرانهم. في (العصر الحجري الحديث)، كانت السفن تبحر من الخليج العربي إلى العراق وبالعكس. وخلال (العصر البرونزي)، كانت السفن تحمل التّجار والبضائع الغريبة من الخارج. وبدءًا من الألفية الأولى بعد الميلاد، كان التّجار والبحّارة مثل ابن ماجد من رأس الخيمة يمخرون عباب البحار بسفنهم إلى أماكن بعيدة حيث وصلوا إلى الصين، وأصبحت توابل الشرق الأقصى من السلع المرغوبة لسكان الإمارات. شملت هذه التوابل القرفة والقرنفل، وهي من الأشياء التي نجدها عادةً في المطبخ التقليدي الإماراتي حتى يومنا هذا.

في الطرف الآخر من أوروبا الواقعة على بعُد آلاف الكيلومترات من الخليج العربي، كان العالم يشهد تغيّرات شديدة التأثير. في أواخر القرن الخامس عشر، نجح المستكشف الإيطالي **كريستوفر كولومبوس** بإقناع ملك أسبانيا بأنه يمكن إيجاد ممرّ إلى آسيا عبر الإبحار مباشرةً باتجاه الغرب من أوروبا، وبدلًا من ذلك اكتشف القارات الأمريكية. وظنًّا منه أنه وصل إلى الهند، أطلق اسم "الهنود" على سكانها. مثّل اكتشاف العالم الجديد، أو كما تُسمى "القارات الأمريكية"، بداية تحوّل مهم في تاريخ العالم. فقد وصلت تأثيرات ذلك الاكتشاف إلى شبه الجزيرة العربية، فبدءًا من عام 1500م، بدأ الوجود الأوروبي يتزايد في المنطقة العربية بما فيها منطقة الخليج العربي.

مثّل اكتشاف العالم الجديد، أو كما تُسمى "القارات الأمريكية"، بداية تحوّل مهم في تاريخ العالم.

خريطة بحر العرب، 1573م.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

عالم متغير

أحبّ الأوروبيون التوابل والبضائع اللذيذة الآسيوية منذ زمن بعيد، كما أعجبوا بلآلئ الخليج العربي الجميلة، ولكن كانوا يجدون صعوبة في الحصول على هذه البضائع. فقد كانت السفن الأوروبية تبحر عبر البحر المتوسط إلى غزة وموانئ أخرى على البحر المتوسط حيث يجدون تلك التوابل والبضائع الأخرى هناك بعد أن وصلت إليها برًّا عبر شبه الجزيرة العربية والشرق الأوسط؛ إلا أن الإبحار عبر البحر الأبيض المتوسط كان يعني التعامل مع الممالك الكثيرة التي كانت تسيطر على البحار من أسبانيا إلى سورية وفلسطين ومصر. بدلًا من ذلك، كان هناك طريق بحري أكثر استقامة يتضمن الإبحار من المرافئ الأوروبية جنوبًا على طول الساحل الغربي لأفريقيا ومن ثم الانعطاف باتجاه الشمال إلى شرق أفريقيا ومن ثم عبر المحيط الهندي إلى آسيا. وكان الرحالة من الإمارات وعُمان يسيطرون منذ آلاف السنوات على الجزء الأخير من هذه الرحلة البحرية، فمنذ (العصر البرونزي) أي قبل (3,000) سنة، كان التجّار يبحرون بسفنهم من أم النار وتل أبرق ودبا إلى الموانئ الهندية. وكان هؤلاء البحّارة يعرفون الرياح الموسمية التي تهبّ من الغرب إلى الشرق في فصل الصيف. وفي الحقب اللاحقة استخدم البحّارة كابن ماجد تقنيات مثل الكمال للملاحة على خطوط مستقيمة إلى الهند، ولكن هذه الطرق البحرية كانت مغلقة بالنسبة للأوروبيين لأن قدرتهم على الملاحة في هذه المناطق كانت محدودة.

منذ (العصر البرونزي) أي قبل (3,000) سنة، كان التجار يبحرون بسفنهم من أم النار وتل أبرق ودبا إلى الموانئ الهندية. وكان هؤلاء البحارة يعرفون الرياح الموسمية التي تهبّ من الغرب إلى الشرق في فصل الصيف.

في عام 1488م، نجح البحار البرتغالي بارتولوميو دياز في الإبحار حول الطرف الجنوبي من أفريقيا، ولكنه لم يقطع سوى مسافة قصيرة بعد ذلك. **وتغيّر هذا الحال في الثامن من يوليو من عام 1497م حين نجح القبطان فاسكو دي غاما في الإبحار من لشبونة في البرتغال** جنوبًا على طول الساحل الغربي لأفريقيا. وفي شهر ديسمبر من العام نفسه، دار حول الطرف الجنوبي من أفريقيا واتجه شمالًا نحو مدغشقر، ومن ثم رست سفنه في ماليندي المعروفة حاليًّا باسم كينيا. وكان هذا المكان أبعد بمئات الكيلومترات من المكان الذي وصل إليه بارتولوميو دياز سابقًا. أما بالنسبة للخطوة التالية - أي الرحلة عبر المحيط الهندي إلى الهند - فلم يكن أي قبطان أوروبي قد حاول القيام بها من قبل؛ ولإنجاز هذه الخطوة استعان فاسكو دي غاما بخدمات بعض البحّارين لم يكن ابن ماجد هو الذي أرشد فاسكو دي جاما، وإنما الذي أرشده شخصٌ مسيحي من منطقة غُوجراتْ يُسمى "كانا"، (المصدر الشيخ الدكتور سلطان القاسمي).

صورة يُعتقد أنها للبحّار فاسكو دي غاما.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لوحة قماش مطرزة تعود للقرن السادس عشر تصور وصول فاسكو دي غاما إلى كالكوتا.

رست سفن فاسكو دي غاما في مايو 1498م بالقرب من كالكوتا وهي في العصر الحديث كوزيكود في كيرالا الهندية. وهكذا، أصبح أول بحّار أوروبي يكمل رحلة بحرية بين أوروبا الغربية والهند. ووفر ذلك فرصة للبرتغاليين ليبدؤوا بالسيطرة على مناطق جنوب آسيا والخليج العربي.

إلا أن معرفة دي غاما بطريقة الإبحار عبر المحيط الهندي كانت ما تزال محدودة جدًّا كما يتبيّن من قراره للعودة إلى كينيا في شهر أغسطس إذ كان هذا التوقيت هو الأسوأ للإبحار من الشرق إلى الغرب بسبب هبوب الرياح بالاتجاه المعاكس. وكان هذا الأمر معروفًا لدى البحارة والملاحين المحليين من أبناء الخليج العربي الذين كانوا يفهمون أنماط الريح الموسمية، مثل ابن ماجد. نتيجةً لذلك، كلّفته رحلة العودة إلى الهند ثمنًا باهظًا على متن سفنه؛ فبدلًا من الثلاثة وعشرين يومًا التي استغرقها الإبحار من ماليندي إلى كالكوتا احتاج دي غاما إلى (132) يومًا للإبحار في الاتجاه المعاكس، ومات عدد كبير من بحارته بسبب العطش والجوع فاضطر إلى إغراق واحدة من سفنه بسبب عدم توفر عدد كافٍ من البحّارة لتشغيلها. مع ذلك، نجح في العودة حيث وصل إلىلشبونة في البرتغال بعد سنة تقريبًا واستقبله الملك استقبال الأبطال.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

البرتغاليون والإمارات

دشنت رحلة فاسكو دي غاما بداية الوجود البرتغالي في المحيط الهندي والإمارات. وبعد وقت قصير من نجاح دي غاما بالوصول إلى هذه المنطقة، وسع البرتغاليون نطاق سيطرتهم في منطقة الخليج العربي. في عام 1507م قام القائد البحري البرتغالي الفونسو دي ألبوكيرك بالهجوم على صحار في عُمان، ومن ثم حوّل اهتمامه إلى المدن الساحلية الإماراتية التي كانت قد أصبحت مراكز تجارية مهمة في ذلك الحين. وكان سكان خورفكان على الساحل الشرقي قد تنبهوا إلى قدومه فاستعدوا لمواجهة هجومه، ولكنهم عجزوا عن الصمود أمام نيران مدافع السفن البرتغالية. وبعد أن حط البرتغاليون على اليابسة استولوا على المدينة بعد مقاومة شرسة من سكانها، فأمر ألفونسو دي ألبوكيرك بقطع أنوف وآذان الرجال لمعاقبتهم على المقاومة التي أظهروها. وعندما غادروا خورفكان في اليوم التالي أخذوا معهم المؤن بما فيها الماء وأحرقوا المدينة.

تتحدث روايات البرتغاليين عن كشوفاتهم الجغرافية، كما تتضمن وصفًا مفصّلًا لأبرز المدن في الإمارات آنذاك. كتب دي ألبوكيرك في مذكرات رحلته أن خورفكان كانت تحتوي على "منازل رائعة؛ وهي منيعة جدًّا من جهة اليابسة والسبب في ذلك هو أنها كانت تخاف من تعرّضها للهجوم عبر اليابسة أكثر من الهجوم عبر البحار. يعيش فيها العديد من تجار غوجارات البارزين. تقع المدينة على سفح جبل عالٍ جدًّا، وفيها من جهة اليابسة جدار متين للغاية يمتد على طول الطريق إلى البحر... وفي الداخل توجد عقارات كثيرة تحتوي على منازل رائعة، عدد كبير من أشجار البرتقال والليمون والزامبوا (نوع من الحمضيات) والتين والنخيل، وكافة أنواع الخضراوات، والكثير من برك الماء التي يستخدمونها للريّ؛ في الحقول يوجد الكثير من أعواد القش، كما هو الحال في البرتغال، وهنالك العديد من حقول الذرة. أيضًا ذكر الخيول الكثيرة التي كانت توضع داخل اسطبلات في خورفكان.

ألفونسو دي ألبوكيرك (1453-1515)

هرمز والبرتغاليون في الخليج العربي

لم يكن مستغربًا أن يبدي البرتغاليون رغبتهم بالسيطرة على أجزاء من الإمارات طمعًا بالسيطرة على هذه المدن الثرية مثل خورفكان وصناعة اللؤلؤ المربحة. في الفترة المتبقية من عام 1507م، سيطر البرتغاليون على الجزء المتبقي من الساحل الشرقي للإمارات، ثم ما لبثوا أن استولوا على هرمز نفسها. لكن استيلاءهم على هرمز لم يكن مهمة سهلة، فعندما اقترب الأسطول البرتغالي منها، تعرّض إلىنيران أطلقتها سفن من جلفار في رأس الخيمة وكذلك من هرمز نفسها. في النهاية سقطت هرمز وقبل الحكام المحليون بالحكم البرتغالي؛ وبعد عودة ألفونسو دي ألبوكيرك إلى الهند ثارت مملكة هرمز على الغزاة بمساعدة سكان الساحل الشرقي للإمارات. أخمد البرتغاليون هذه الثورة وحاولوا السيطرة على أجزاء من الإمارات بشكل مباشر أكثر عبر إنشاء حصون في كلباء ودبا والبدية وخورفكان، كما تم لاحقًا بناء حصون أخرى في جلفار وفي خصب في شبه جزيرة مسندم شماليّ رأس الخيمة.

كان سكان خورفكان على الساحل الشرقي قد تنبهوا إلى قدوم ألفونسو، فاستعدوا لمواجهة هجومه، ولكنهم عجزوا عن الصمود أمام نيران مدافع السفن البرتغالية.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الحصن البرتغالي في البدية

رغم أن المصادر التاريخية تشير إلى وجود حصن برتغالي على الساحل الشرقي للإمارات، إلا أنه كان من الصعب العثور على أنقاض ذلك الحصن. في عام 1999م، اكتشف علماء الآثار الذين كانوا يعملون في الفجيرة ما يمكن أن يكون بقايا أحد الحصون التي بناها البرتغاليون. قام العلماء بالتنقيب على أنقاض أبنية كبيرة مربعة الشكل تصل طول جدرانها إلى (60) مترًا تنتصب على زواياها أبراج عالية شهد بعضها دمارًا جزئيًّا بفعل الجرافات وأعمال البناء الحديثة. تتشابه مواصفات تلك الأبنية من حيث شكلها وحجمها مع الحصون البرتغالية. كما أن تأريخ الإشعاع الكربوني يشير إلى ذات الفترة الزمنية التي تواجد فيها البرتغاليون في المنطقة. وما يثير الاهتمام أن المواد التي عُثر عليها داخل القلعة ليست من البرتغال بل كانت على الغالب أواني فخارية محلية الصنع أو مستوردة من مكان آخر. لغاية هذه اللحظة، فإن علماء الآثار ليسوا على يقين تام بأن ذلك البناء هو ذاته الحصن البرتغالي - ربما ستتيح لنا المزيد من الأبحاث وأعمال التنقيب معرفة ذلك على وجه اليقين.

منظر لآثار يعُتقد أنها بقايا الحصن البرتغالي في البدية.

تتضمن الوثائق البرتغالية التي وصفت هذه الحصون معلومات مهمة عن الحياة في تلك المدن الإماراتية آنذاك. كتب رسام الخرائط (بيدرو باريتو دي ريسيندي) أن الماء في خورفكان هو "الأفضل على مستوى شبه الجزيرة العربية بأسرها". أيضًا قرأنا عن وجود قرى كبيرة تحتوي على مبانٍ طينية تحيط بها حدائق النخيل والآبار، وهذه الصورة تنم عن مجتمع مزدهر.

في القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر بعد الميلاد، سعى البرتغاليون إلى السيطرة على هذه المناطق الساحلية الإماراتية بعد أن سيطروا على مملكة هرمز؛ ولكن في الواقع، مثلما حدث تمامًا في الحقب السابقة عندما سعت قوى أجنبية مختلفة للسيطرة على المنطقة، كانت الحياة اليومية تستمر بشكلها المعتاد مع بعض الانقطاع. وهنالك بالتأكيد أدلة قليلة على أن نفوذ البرتغاليين امتد بعيدًا في أي وقت داخل اليابسة من البلاد.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

صيد اللؤلؤ

كما رأينا من قبل، كان صيد اللؤلؤ من أبرز الأنشطة الاقتصادية التي مارسها سكان الإمارات خلال (العصر الحجري الحديث) أي قبل حوالي (7000) سنة من ولادة الملاح ورسّام الخرائط أحمد بن ماجد. لقد قدمت دولة الإمارات العربية المتحدة الأدلة المبكرة على وجود اللؤلؤ في العالم. كما ساهمت المساعدات الملاحية الحديثة والتوسع في القوة البحرية في ضمان بقاء هذه الصناعة من أهم الأنشطة الاقتصادية في المنطقة بعد القرن الثاني عشر. يشير المؤرخ الكبير الإدريسي - الذي كان نشطًا في ذلك الوقت - إلى مدينة جلفار الواقعة شمال مدينة رأس الخيمة حاليًّا بوصفها مركزًا مهمًّا لصيد اللؤلؤ. على الرغم من أن هذا الأمر يعود إلى ما قبل وجود البقايا الأثرية لجلفار، إلا أنه يشير بوضوح إلى أن صيد اللؤلؤ كان أمرًا بالغ الأهمية. ربما كانت جلفار التي أشار إليها الإدريسي هي مدينة كوش المجاورة التي ازدهرت من القرن الرابع ولغاية الرابع عشر. وما أن تم ربطها بالبحر عبر جدول صغير، حتى فقدت كوش أهميتها بعد أن طُمر الجدول لتحلّ محلها جلفار، المدينة الساحلية الحديثة. مع ازدهار هذه المدينة، أصبح اللؤلؤ سلعة ثمينة. بدوره أعلن **جاسبارو بالبي**، وهو من أعظم تجار المجوهرات في عصره والصائغ الخاص ببلاط البندقية، أن اللآلئ التي تُستخرج من جلفار هي الأفضل في جميع أنحاء العالم.

مرة أخرى، وكما حدث أثناء الغزوات الأجنبية السابقة قصيرة الأمد، كان صمود سكان الإمارات يعني استمرار المميزات الأساسية لمجتمعهم والتي تكونت على مدى قرون من الزمن. والاقتصاد المرتكز على التجارة وصيد السمك واللؤلؤ قدّم فوائد هائلة بالنسبة لأولئك المقيمين على الساحل حيث تذكر بعض الروايات التاريخية من القرن السادس عشر أن صيد اللؤلؤ كان نشاطًا مهمًّا بشكل استثنائي.

صورة لأحد المباني التي أعيد ترميمها في منطقة الخان بالشارقة المشهورة بصيد اللؤلؤ. لقد تزايدت أهمية صيد اللؤلؤ في تلك الفترة التاريخية.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

نظرة هولندية إلى البدية في الفجيرة

على الرغم من أنه لم يكن هنالك أي وجود للهولنديين في الإمارات، إلا أنهم كانوا على معرفة بالعديد من المدن بسبب استمرارهم في مزاولة التّجارة في منطقة الخليج العربي خلال القرن السابع عشر. في عام 1666م، أبحرت السفينة الهولندية "ميركات" على طول الساحل وأعطت وصفًا لمدينة البدية كما يلي: ليبديا "البدية" هو مكان يضم ما يقارب (200) منزل بنيت جميعها من أغصان أشجار النخيل، وتقع على الشاطئ على خط العرض (25) درجة، خمس دقائق. خلف المنازل، يتراءى وادٍ جميل حيث تنتصب أشجار النخيل العالية وبعض أشجار التين وتنساب العديد من الينابيع العذبة يقع أحدها على مسافة مرمى طلقة مسدس من الشاطئ، حيث يمكن العثور على المياه العذبة. تنمو في هذا الوادي فواكه الشمام والبطيخ والبصل.."

مقاومة البرتغاليين

ازدادت المقاومة ضد البرتغاليين، **ففي عام 1619م حدثت ثورة كبيرة في جلفار برأس الخيمة**، وفي عام 1622م تعرضت هرمز الخاضعة لسيطرة البرتغاليين إلى هجوم من قوات فارسية وبريطانية وبعد حصار استمر لعدة أشهر سقطت المدينة. كان البريطانيون قد وصلوا أولًا إلى الخليج العربي قبل بضعة عقود، كما هو الحال بالنسبة للهولنديين، ولكنهم لم يثبّتوا أي وجود لهم في الإمارات (انظر إلى الفقرة التي تحمل عنوان "نظرة هولندية إلي البدية في الفجيرة"). وبعد أن فقد البرتغاليون السيطرة على هرمز قاموا بتعزيز ممتلكاتهم على الساحل الشرقي لدولة الإمارات، ولكن المقاومة المحلية استمرت حيث ثار سكان دبا ضد السيطرة الأجنبية فردّ القائد البرتغالي (رويفرير) على ذلك بنشر (50) جنديًّا برتغاليًّا في المدينة. وبحلول عام 1627م كان السكان المحليون قد ثاروا أيضًا على هؤلاء الجنود. وكتب (بيترو ديلا فالي)، الدبلوماسي الإيطالي الذي كان يجول آنذاك في منطقة الخليج العربي، أن **"العرب لا يتحملون الخضوع إلى أي شخص ويضعون حريتهم في المقام الأول"**.

حوالي عام 1632م تم تحرير جلفار بعد هزيمة حاميات الهرمزي والجنود البرتغاليين.

في عُمان، بدأ أول زعيم لسلالة اليعاربة الحاكمة ناصر بن مرشد (1624 - 1649)م باسترداد الحصون البرتغالية عبر هجومه أولًا على مسقط. حوالي عام 1632م تم تحرير جلفار بعد هزيمة حاميات الهرمزي والجنود البرتغاليين، وفي عام 1643م تم تحرير خورفكان. شجعت هذه الانتصارات على المزيد من المقاومة ضد البرتغاليين؛ وأخيرًا نجح خليفة ناصر بن مرشد، واسمه سلطان بن سيف (1649 - 1688)م، في تحرير موانئ مهمة أخرى من قبضة البرتغاليين. بحلول عام 1650م تم استرداد مسقط وكان البرتغاليون قد خسروا كل قواعدهم الأمامية على ساحل دولة الإمارات وعُمان؛ ولم ينتهِ وجود البرتغاليين في المنطقة ولكن هزيمتهم كانت تعني انتهاء سيطرتهم على الطرق التّجارية الرئيسة وتوقفهم عن فرض الضرائب الباهظة على شحن البضائع. ومكّن ذلك قبائل الخليج العربي من الإبحار تحت راياتهم بالذات.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أشر ظهور الجنود البريطانيين في الهجوم على هرمز عام 1621م أدى إلى ظهور قوة أوروبية جديدة كليًّا في الخليج العربي. كانت الشركة الإنجليزية للهند الشرقية التي عزّزت المصالح التجارية الإنجليزية في الخارج ضعيفة آنذاك، ولم يمتد نطاق سلطتها إلى الخليج العربي إلا في وقت لاحق. ومع ذلك، حظيت إنجلترا بنفوذ دائم في المنطقة حتى إعلان قيام اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة في عام 1971م.

أشر ظهور الجنود البريطانيين في الهجوم على هرمز عام 1621م أدى إلى ظهور قوة أوروبية جديدة كليًّا في الخليج العربي.

حلف بني ياس وآل نهيان

في مطلع القرن السابع عشر، تشكلت في الإمارات عدة تحالفات قبلية كان أكبرها وأهمها تحالف قبائل بني ياس الذي ورد ذكره لأول مرة في المصادر التاريخية، لكن من المحتمل أن قبائل بني ياس كانت تقيم في منطقة الإمارات قبل ذلك بوقت طويل.

ومن هذه التحالفات القبلية، سطع نجم آل نهيان الذين لعبوا دورًا قياديًّا في الإمارات من بداية القرن التاسع عشر، وكان من أبرزهم المغفور له - بإذن الله - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - الذي أصبح أول رئيس لدولة الإمارات العربية المتحدة.

نجد أول دليل على وجود قبائل بني ياس على ساحل الإمارات في كتاب ألفه تاجر مجوهرات من مدينة البندقية الإيطالية غاسبارو بالبي حوالي عام 1580م حيث يذكر فيه جزيرة "سيربينياست" ومن الواضح أنها ما يُعرف حاليًا بجزيرة صير بني ياس. أيضًا يذكر هذا المصدر عدة أسماء لأماكن مهمة أخرى معروفة لدينا في الوقت الحاضر مثل دبي "ديباي" (دبي)، "أغيمان" (عجمان)، "إيميغوفين" (أم القيوين)، "راسيلشيمي" (رأس الخيمة). وهناك مصدر آخر من تجار البندقية وهو (كاستلي) 1559م يشير أيضا إلى جزيرة صير بني ياس.

منظر لواحة ليوا في 1948.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الأصول القبلية لدولة الإمارات الحديثة

يمثل بنو ياس والقواسم السمات المزدوجة للحياة العصرية في دولة الإمارات العربية المتحدة. فقد كان بنو ياس على دراية تامة بالمناطق الداخلية من البلاد بحكم جذورهم الصحراوية القوية، كما كانوا يعملون أيضًا في مصائد اللؤلؤ قبالة الساحل. من جهتهم، كان القواسم تجارًا وبحارة خاضوا عباب الخليج العربي والمحيط الهندي.

إن نشوء هذين الحلفين، إلى جانب تحالفهما مع القبائل التي حكمت الموانئ الساحلية مثل عجمان وأم القيوين، قد ساهم في وضع حجر الأساس لدولة الإمارات العربية المتحدة اليوم. ومنذ ذلك الحين، بدأت تظهر ملامح الحكومة في جميع أنحاء المنطقة والمدن والمناطق الريفية، إلى جانب الصحراء والجبال، حيث يحكم كل شيخ مجتمعًا بالتشاور مع بقية أفراد أسرته والأشخاص البارزين في المجتمع. كانت تُعقد اجتماعات مفتوحة شبيهة بمجالس اليوم يتم فيها مناقشة القضايا اليومية الرئيسة. في أوقات الحروب سواء مع دول الجوار أو القوى الأجنبية، كان الشيخ يدعو شعبه لتشكيل قوة قتالية حيث لم يكن قد تم بعد تشكيل الجيش النظامي الحديث.

يبدو واضحًا من السجلات المكتوبة المحدودة الموجودة أو من التراث الشفوي الذي تناقلته الأجيال، مدى ارتباط هذا النوع من الحكم بالنظام الذي نراه اليوم. كان الشيوخ يقومون باستشارة شعبهم والحفاظ على دعمهم إذا ما أرادوا تحقيق النجاح.

ربما تكون دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم دولةً فتيةً لا يزيد عمرها عن (50) سنة، إلا أن نظام الحكم أقدم من ذلك بكثير. يمكن تتبع أصول جميع الأسر الحاكمة في دولة الإمارات العربية المتحدة إلى القرن الثامن عشر على أقل تقدير. أي أكثر من (200) سنة.

كان الانتقال إلى أبوظبي قرارًا في غاية الحكمة بسبب قربها من مصائد اللؤلؤ. وبدأت قبيلة بني ياس بالنمو كقوة اقتصادية وبحرية.

في الجزء الداخلي من البلاد استقرت قبائل بنو ياس في منطقة الساحل وهي منطقة داخلية يوجد بها أقدم حصن لبني ياس وأكبرها على الإطلاق تم ترميمه مؤخرًا، وتعتبر منطقة الساحل من أهم مناطق الاستقرار البشري لقبائل بني ياس في الماضي، ومن أشهر مناطق استقرارهم في فصل الصيف محاضر ليوا (الجواء) والتي سرعان ما يتركونها مع طلوع نجم سهيل لينتقلوا إلى مراعيهم في منطقتي بينونة والحمرة اللتين يشتركون في مواردها المائية (الآبار) ومراعيها الخصبة مع قبيلة المناصير.

ربما وصلوا إلى هذه المنطقة. فقاموا برعي ماشيتهم على مساحات شاسعة تقع حاليًّا داخل دولة الإمارات العربية المتحدة. استقرت مجموعات أخرى من بني ياس على طول الساحل وبشكل خاص على الجزر البعيدة عن الشاطئ حيث عملوا في مجال صيد السمك وفي صناعة اللؤلؤ. وفي العقود الأولى من القرن السابع عشر يمكن مشاهدة نصوص تذكر بني ياس في كتب قديمة.

تشير الأدلة الأثرية إلى أن بعض المجموعات البشرية كانت تسكن أماكن مجاورة لمنطقة أبوظبي منذ حوالي (400) عام بصفة موسمية. ذكر أحد المؤرخين أنه كان هناك شيخًا يتزعم أبوظبي في سنة 1651م. غير اننا في حاجة إلى المزيد من الأبحاث حول هذه المسألة وقد يحتوي الأرشيف البرتغالي والهولندي على المزيد من المعلومات حول هذه الفترة من التاريخ التي لم يتم بعد فهمها بصفة دقيقة".

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

آل نهيان

في وقت ما من منتصف أو أواخر القرن السابع عشر، أصبحت عائلة آل نهيان - الحاكمة حاليًّا - زعيمة قبيلة بني ياس. وكان "فلاح" - ومنه يعود نسب الأسرة الحاكمة. ومن ثم خلفه أحد أبنائه الأربعة واسمه "نهيان". وفي مطلع القرن الثامن عشر، أصبح "عيسى" بن "نهيان" شيخ قبائل بني ياس. ومنه فصاعدًا، اتخذ تاريخ بني ياس مسارًا واضحًا.

بعد بضعة عقود، وتحديدًا بعد أن خلف الشيخ ذياب والده الشيخ عيسى، انتقل بنو ياس ليقيموا في جزيرة أبوظبي؛ والتاريخ الذي يُربَط عادةً بهذا الانتقال هو عام 1761م. وهنالك قصة شهيرة تنسب هذا الانتقال إلى مجموعة من الصيادين بعد أن طاردوا غزالًا من الساحل عبر خليج قليل العمق إلى ينبوع على جزيرة أبوظبي، حيث عاد رجال القبيلة إلى ليوا وأخبروا الشيخ ذياب عمّا اكتشفوه، فأمر ببناء قرية صغيرة على جزيرة أبوظبي. وتوضح هذه القصة أصل التسمية "أبوظبي"، أي "والد أو مالك الغزال".

كان الانتقال إلى أبوظبي قرارًا في غاية الحكمة لأنها كانت قريبة من مصائد اللؤلؤ، فبدأت قبيلة بني ياس تكبر كقوة اقتصادية وبحرية؛ كما كان من السهل الدفاع عن جزيرة أبوظبي بسبب وجود خليج يفصلها عن البرّ الرئيس. ولهذه الغاية الدفاعية، بنوا البرج الكائن في منطقة المقطع والذي رممه الشيخ زايد بن سلطان - رحمه الله - لاحقًا في عام 1969م. لقد كان الهدف من بناء هذا البرج السيطرة على حركة الدخول إلى جزيرة أبوظبي مما يشير إلى سيطرة آل نهيان على الجزيرة وخططهم لتوطيد نفوذهم فيها. في عام 1795م، خلف الشيخ شخبوط بن ذياب والده كحاكم، ونقل مقره الرئيس من ليوا إلى أبوظبي؛ وهناك بنى حصنًا أصبح فيما بعد المبنى الأول مما يُعرف اليوم بقصر الحصن. وتبين خريطة تعود إلى ثلاثينيات القرن التاسع عشر موقع قصر الحصن في المكان الذي لا يزال يوجد فيه حتى هذا اليوم.

خريطة من مطع القرن التاسع عشر تبين ساحل أبوظبي وموقع قصر الحصن.

إن اتخاذ آل نهيان من أبوظبي مركزًا لممارسة حكمهم كان عاملًا حاسمًا في نجاحهم في القرون القادمة. فقد أصبح قصر الحصن مركزًا لاجتماعات كبار القوم والمشاورات والنقاشات السياسية واتخاذ القرارات المهمة. ففي هذا القصر، على سبيل المثال، تم التوقيع على اتفاقية الامتيازات الأولى للتنقيب عن النفط.

كان من أولى الأعمال التي قام بها الشيخ شخبوط هو بناء حصن في جزيرة أبوظبي، حيث أصبح هذا الحصن المبنى الأول الذي اتخذه آل نهيان مقرًا لحكمهم.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشيخ رحمة بن مطر القاسمي

وفقًا لتقرير هولندي نُشر عام 1756م، فإن الشيخ رحمة الذي أسس السلالة القاسمية "كان في ذلك الوقت أحد أقوى حكام المنطقة، حيث كان تحت إمرته (400) شخصًا مسلحًا تسليحًا جيدًا في الصّير (رأس الخيمة) التي كانت تمتلك ميناء جيد توفر الملجأ للسفن الكبيرة. يوجد هنالك ما يقارب (60) سفينة معظمها كبيرة وذات حمولة جيدة وكانت تبحر إلى موكا (ميناء في اليمن) . في هذا المكان، ثمة أنشطة تجارية كبيرة في مجال اللؤلؤ، إضافة إلى بعض البضائع والمخصصات التي كان يتم نقلها إلى الصحراء..."

القواسم

في شمال الإمارات، بدأت تظهر قبيلة القاسمي، وهي الأسرة الحاكمة حاليًّا لإمارة الشارقة وإمارة رأس الخيمة، في منتصف القرن السابع عشر. كان الشيخ رحمة بن مطر بن رحمة بن محمد قائدًا، تحالف مع عُمان، وشارك في حرب أخرى ضد بلاد فارس.

وفي حوالي عام 1720م، اكتسب لقب الأمير (الشيخ) حيث بدأ في تأسيس دولته المستقلة.

يشير المؤرخون الهولنديون في ذلك الوقت إلى الشيخ رحمة بأنه كان واحدًا من أغنى التّجار ومالكي السفن في الخليج العربي. وبعد وفاته في عام 1760م، خلفه أخوه الشيخ راشد في الحكم. وفي ذلك الوقت، كان القواسم يحكمون معظم المناطق الشمالية من الإمارات وقاموا بتوسيع نفوذهم ليشمل أجزاء من الساحل الشرقي للبلاد بما في ذلك موانئ خورفكان ودبا ذات الأهمية الكبيرة. كما بسطوا سيطرتهم على العديد من الجزر المهمة في الخليج العربي بما في ذلك طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى وصّري، إلى جانب جزء من جزيرة قشم. إلى جانب ذلك، حكم القواسم مناطق على الساحل الإيراني الجنوبي مثل بندر لنجة واحتفظوا بسيطرتهم على تلك المناطق حتى أواخر القرن التاسع عشر، حيث شقّت سفنهم عباب البحر من البصرة إلى الهند وإلى الجنوب نحو شرق افريقيا.

تصاعد تدخّل البريطانيين في جنوب الخليج العربي

خلال القرن الثامن عشر، كان البريطانيون يعتقدون أنهم أسياد البحار، وهذا ما دفعهم إلى توسيع نفوذهم في جنوب الخليج العربي والسيطرة على طرق النقل والتّجارة البحرية قدر الإمكان. كان القماش أحد الأسباب المحتملة وراء تلك النزعة التوسعية، فقد كان البريطانيون قبل ذلك يشحنون القماش بسفنهم من روسيا وسوريا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

غير أن القماش بات يأتي الآن عبر الخليج العربي. لكن مهمة البريطانيين لم تكن سهلة، فقد شكّلت القوة البحرية الكبيرة للقواسم تحديًّا قويًّا للأسطول البريطاني. ووفقًا للتقارير الواردة من ذلك الوقت، كانت القوة البحرية للقواسم في ذروتها تتألف من أكثر من (60) سفينة كبيرة يمكنها أن تحمل ما يزيد على (15000) جندي. وهكذا، كان اندلاع الصراع أمرًا حتميًّا بين هاتين القوتين.

كان القواسم يعتبرون مياه الخليج العربي جزءًا من مياههم الإقليمية، وبالتالي كان من حقهم بسط سيطرتهم عليها وفرض "ضرائب" على السفن التي كانت تعبر تلك البحار. ومع نهاية القرن التاسع عشر، كان آل نهيان قد وطدوا سلطتهم في أبوظبي حيث أصبح قصر الحصن مركزًا لأنشطتهم الاقتصادية، ولا سيما صيد اللؤلؤ، بالإضافة إلى كونه مقرًا لحكمهم.

كان البريطانيون حريصون على توسيع سيطرتهم على الطرق البحرية الواصلة إلى الهند. وقد أدركوا أن ازدياد القوة الاقتصادية لكل من آل نهيان والقواسم تهدد مخططاتهم التوسعية. لأجل ذلك، زعموا أن الأعمال التي يقوم بها القواسم في البحر يمكن إدراجها تحت بند "القرصنة". يقدّم البحث المفصّل الذي كتبه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة - حفظه الله - اليوم، جوابًا كافيًا ووافيًا عن تلك المزاعم البريطانية. فقد قام صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بالتحقيق في العديد من المستندات والوثائق المحفوظة في مدينة مومباي "بومباي" والتي تثبت بالدليل القاطع أن تصوير القواسم كقراصنة كان مجرد "خرافة" ابتدعها البريطانيون واستخدموها لتبرير محاولاتهم للسيطرة على التجارة في منطقة الخليج العربي.

اجتياح رأس الخيمة في عام 1809م.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

يشير الشيخ سلطان في أحد كتبه العلمية قائلًا: "**إن جميع الاتهامات التي طالت القواسم كانت خادعة ومضللة. ساق البريطانيون اتهامهم للقواسم بالقرصنة للمرة الأولى في ديسمبر 1804م واستمروا بذلك لغاية عام 1821م. ولكن في الفترة الممتدة بين (1801م و1821م)، ارتفعت الواردات من الخليج العربي إلى الهند لأكثر من الضعف، وازدادت الصادرات من مومباي إلى الخليج العربي بأكثر من ثلاثة أضعاف.**" وهذا يثبت أن نشاط القواسم في البحار لم يؤثر على التجارة أو "سلامة البحار" مثلما كان البريطانيون يدعون.

بعد العديد من المواجهات بين القواسم والبريطانيين، وفي عام 1805م حاصرت القوات البريطانية أسطول القواسم في جزيرة قشم الواقعة في جنوب إيران. استمرت الاشتباكات البحرية بين السفن البريطانية وأسطول القواسم. وظل البريطانيون يهاجمون رأس الخيمة لأربع سنوات. **في الثالث عشر من نوفمبر 1809م، استولى البريطانيون على البلدة ودمروا مينائها وحصونها**. ولكن سرعان ما أعاد القواسم بناء أسطولهم لتتجدد الاشتباكات. في أواخر عام 1819م، هاجم البريطانيون رأس الخيمة مجددًا وغيرها من معاقل القواسم الواقعة على طول الساحل مثل حصن ضاية إلى الشمال من رأس الخيمة.

المعاهدات

في يناير من عام 1820م، تم توقيع "معاهدة السلام العامة" أو "الاتفاقية المانعة" بين بريطانيا والعديد من حكّام الإمارات. فقد جرى التوقيع على النسخة الأصلية من هذه المعاهدة على شاطئ رأس الخيمة، ومن ثم انضم عدة حكّام للتوقيع عليها منهم حكّام رأس الخيمة، وأبوظبي، والشارقة، وعجمان، وأم القيوين. وقد وقعها عن أبوظبي الشيخ شخبوط بن ذياب بالإنابة عن ابنه الذي أصبح حاكمًا لأبوظبي في 1818م.

كان هدف البريطانيين من إبرام تلك المعاهدة زيادة بسط سيطرتهم على خطوط الملاحة، غير أن المعاهدة سمحت بتوسيع مناطق صيد اللؤلؤ وزيادة التجارة بين حكّام الإمارات.

كان تطور العلاقات بين قبيلتي بني ياس والقواسم من أبرز نتائج المعاهدة البحرية العامة. فقد تنامت قوة القبيلتين ولعبت دورًا بارزًا في تطوير مفهوم الدولة الحديثة التي وُضعت أسسها في القرن التاسع عشر.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الفصل

14

تشكّل الهوية الوطنية: (1800-1950م)

منظر من الجو لمدينة أبوظبي في أواخر الستينات من القرن العشرين.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

بدأت أسس دولة الإمارات العربية المتحدة الحديثة تترسخ وتنمو في القرن التاسع عشر حيث عززت قبيلتا بنو ياس والقواسم قوتهما في جميع أنحاء البلاد، وواصلت هاتان القبيلتان القويتان المقاومة ضد الإمبراطورية البريطانية التي كانت تسعى لتوسيع رقعة سيطرتها في المنطقة. وقد أسفرت تلك الاشتباكات عن توقيع العديد من المعاهدات مع بريطانيا ابتدًاء من ثلاثينيات القرن التاسع عشر وما بعدها. **في عام 1853م، وقع الطرفان "معاهدة السلام البحري الدائم" 1853م التي أنهت جميع النزاعات المسلحة في البحر بين القواسم والقوات البحرية، تبع ذلك توقيع الطرفين "المعاهدة الحصرية" في عام 1892م**. ونتيجة لتلك الاتفاقيات، باتت البلاد تعُرف باسم" الإمارات المتصالحة". فرضت تلك المعاهدات قيودًا على وجود بقية الدول الأوروبية في منطقة الخليج العربي، كما جعلت من بريطانيا ممثلًا للإمارات في تعاملاتها مع الدول الأجنبية.

التطورات المحلية والدولية: 1800-1914م

لم تُفضِ المعاهدات آنفة الذكر إلى حكم بريطاني مباشر في الإمارات، فقد أعلن المغفور له - بإذن الله - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة، في أكثر من مناسبة عامة أنه عندما تأسست دولة الإمارات في عام 1971م لم تكن بحاجة للحصول على الاستقلال من البريطانيين لأنها لم تفقده أصلًا.

الشيخ زايد الأول (زايد الكبير) يقيم مجلسًا في قصر الحصن.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وهكذا واصل سكان الإمارات حياتهم اليومية في القرن التاسع عشر كما كانت من قبل. كما واصلوا بطريقة رشيدة استغلال الموارد المتوفرة في البحر والصحارى والواحات حيث شكل ذلك النشاط أساس الحياة في الإمارات. وقد ساهم ذلك في ترسيخ وتعزيز هوية وطنية ومستقلة للإمارات تتمركز حول المجموعات القبلية الكبرى في أبوظبي والإمارات الشمالية.

أبوظبي

حكم الشيخ شخبوط بن ذياب وأولاده أبوظبي طيلة الفترة الممتدة من 1795م وحتى 1845م، كان يتمتع خلالها بسُلطة كبيرة، وأقام التحالفات مع القبائل الأخرى، وذاع صيته في أرجاء الإمارات حتى أصبح الحاكم الأول من بين العديد من الحكّام ذوي الشأن الذين برزوا في تاريخ أبوظبي على مدى القرنين الماضيين. وتلاه في الأهمية حفيده **الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان (زايد الأول) وهو جدّ الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة**.

يعتبر المؤرخون أن الشيخ زايد الأول كان أكثر حكّام أبوظبي أهمية في القرن التاسع عشر حيث امتدت فترة حكمه بين عامي (1855م و1909م) وهي الأطول في تاريخ إمارة أبوظبي. كما عمل الشيخ زايد الأول على توسيع منطقة نفوذه على مساحة واسعة حتى أصبحت إمارة أبوظبي القوّة الأكثر أهمية في جنوب شرق الجزيرة العربية بنهاية القرن التاسع عشر.

توحيد الجهود

زخر تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة بالكثير من القادة الذين يستحقون التكريم أيضًا تقديرًا لدورهم في تأسيس الدولة. في أبوظبي، قبل (250) سنة من الآن، اتخذ الشيخ ذياب بن عيسى القرار المهم جدًّا بإنشاء القرية الجديدة على جزيرة أبوظبي التي تمثل حاليًّا عاصمة دولة الإمارات. كذلك وفر الشيخ شخبوط بن ذياب والشيخ زايد بن خليفة قيادة مستقرة طيلة القرن التاسع عشر تقريبًا. وفي عهد الشيخ زايد الأول أصبحت إمارة أبوظبي أهم قوة في المنطقة. وتمكّن الشيخ شخبوط بن سلطان - رحمه الله - من قيادة الإمارة عبر السنوات القاسية التي شهدت الكساد الاقتصادي العالمي والحرب العالمية الثانية إلى بداية العصر الجديد الذي تميّز بإنتاج النفط والثروة التي تلت ذلك. في دبي، أسس الشيخ مكتوم بن بطي الإمارة في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، ويعود الفضل في نموها بعد ذلك حتى أصبحت مركزًا تجاريًّا مهمًّا إلى حكمة الشيخ مكتوم بن حشر الذي جعل من دبي ميناءً يشجع الأعمال التجارية.

وتابع ولده الشيخ سعيد بن مكتوم تلك العملية، مما أوصل دبي إلى الفرص الجديدة في خمسينيات القرن العشرين.

في الشمال، أنشأ الشيخ رحمة بن مطر القاسمي إمارة القواسم في النصف الأول من القرن الثامن عشر واضعًا الأسس لقوة إقليمية بارزة. بعد ذلك بنصف قرن، قاد الشيخ سلطان بن صقر القاسمي تلك الإمارة لما يزيد عن (50) عامًا. وبشكل تدريجي تحولت من قوة بحرية إقليمية بارزة إلى شريك أساسي في وضع أسس دولة الإمارات الحالية.

يستحق هؤلاء الرجال وأمثالهم التكريم تقديرًا لإنجازاتهم، فاعتمادًا على تجربة أسلافهم وعلى دعم شعبهم ساروا بالدولة في فترة تعد من أصعب الأوقات في تاريخها حتى نصل لدولة متقدمة عالميًّا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وقد مارس الشيخ زايد الأول حكمه من قصر الحصن الذي كان يقيم فيه المجالس حيث يجتمع مع زعماء القبائل ويحل النزاعات بين المواطنين. وكان أحد الرحالة الأجانب من الذين وصلوا إلى أبوظبي في بداية القرن العشرين قد التقط صورًا للشيخ زايد الأول وهو يمارس مهامه، بالإضافة إلى الصور الأخرى التي أظهرت كيف كان قصر الحصن يبدو آنذاك.

شهد اقتصاد إمارة أبوظبي نموًّا في ظل حكم آل نهيان حيث بلغت مهنة صيد اللؤلؤ ذروتها في ذلك الوقت. ويمكن العثور على أكوام من أصداف محار اللؤلؤ في جميع الجزر المتعددة في إمارة أبوظبي، والتي تشير إلى ازدهار مهنة صيد اللؤلؤ في ذلك الوقت. ويمكن العثور على أكوام من أصداف محار اللؤلؤ في جميع الجزر المتعددة في إمارة أبوظبي، والتي تشير إلى ازدهار مهنة صيد اللؤلؤ في ذلك الوقت. وفي أقصى الغرب، أصبحت جزيرة دلما سوقًا مهمًّا للؤلؤ تجتذب التجار إليها من مناطق بعيدة كالهند.

| في عام 1909م، أضافت "شركة الملاحة البخارية البريطانية الهندية" دبي كميناء تتوقف سفنها فيه خلال رحلاتها البحرية إلى الهند، كما تم توفير الخدمات البريدية للمرة الأولى. |

الإمارات الشمالية

شهدت الإمارات الشمالية تغيرًا في ذلك الوقت، **ففي عام 1833م، هاجر آل مكتوم وهم فخذ من قبيلة البوفلاسة من حلف بني ياس**، حيث استقروا في دبي تحت قيادة الشيخ مكتوم بن بطي.

في عام 1894م، أصبح الشيخ مكتوم بن حشر آل مكتوم حاكمًا لإمارة دبي والذي ازدادت أهمية إمارة دبي في عهده. في عام 1906م، خلفه الشيخ بطي بن سهيل آل مكتوم الذي ازدهرت التجارة والاقتصاد في عهده بشكل كبير. وفي عام 1909م، أضافت "شركة الملاحة البخارية البريطانية الهندية" دبي كميناء تتوقف سفنها فيه خلال رحلاتها البحرية إلى الهند، كما تم توفير الخدمات البريدية للمرة الأولى، الأمر الذي منح التجار التواصل السريع عبر الخليج العربي والهند.

في عام 1866م، توفي الشيخ سلطان بن صقر القاسمي الذي حكم إمارة القواسم في الشمال. وجرى تقسيم منطقة حكمه بعدئذٍ إلى إماراتين هما الشارقة ورأس الخيمة تحت حكم أولاده. كذلك اضطر القواسم إلى الانسحاب من أجزاء من الساحل الغربي مع احتفاظهم بجزر أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى. وفي فترة لاحقة، أصبحت جزيرة أبو موسى جزءًا من الشارقة، بينما تم ضم جزيرتي طنب الكبرى والصغرى إلى رأس الخيمة. في ذك الوقت، انتقلت العديد من الأسر العربية من الساحل الإيراني إلى الإمارات وخاصة دبي، ومنها بعض الأسر التي لا تزال تمتهن التجارة في يومنا هذا.

زيادة التجارة مع العالم

في بداية القرن العشرين، توسع اقتصاد دولة الإمارات العربية المتحدة على الصعيد العالمي مع تأسيس خدمة البريد وإنشاء الموانئ ونمو تجارة اللؤلؤ. كان ميناء دبي يستقبل البضائع من أنحاد عديدة في العالم، ويتم نقلها من هناك إلى بقية الإمارات عبر قوارب صغيرة أو برًّا، الأمر الذي ساهم في تعزيز العلاقات، ونمو الروابط البحرية بين دولة الإمارات العربية المتحدة وبقية دول الخليج العربي وشرق أفريقيا والهند.

وحافظت إمارة دبي على علاقات على درجة عالية من الأهمية مع الإمارات الأخرى والعالم الخارجي حتى بعد أن أصبحت جزءًا من دولة واحدة في وقت لاحق.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

على الرغم من أن دولة الإمارات العربية المتحدة الحديثة لم تظهر إلا بعد (100) سنة، إلا أن الشعور بالهوية الوطنية كان موجودًا لدى شعب الإمارات قبل ذلك، وكان أيضًا عاملًا رئيسًا في تأسيس دولتهم الحديثة. كان شعب الإمارات يعتبر نفسه جزءًا من الجزيرة العربية والخليج العربي مع شعور سائد بالاختلاف عن الدول المجاورة في المنطقة. وقد تعززت هذه الهوية الوطنية خلال هذه العقود من الزمن، ولكنها لم تتبلور حينئذٍ. ونستطيع أن نتتبع ظهورها في التاريخ القديم للإمارات عندما نتكلم عن حضارة أم النار أو الفترة التي برزت فيها مليحة كمملكة قوية (الفصل 10). حملت بداية القرن العشرين الازدهار لدولة الإمارات استنادًا إلى تاريخها الطويل في التجارة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية. ورغم ذلك الازدهار، كانت غمامة الحرب السوداء تلوح في الأفق.

الحرب العالمية الأولى في عشرينيات القرن الماضي

أدى اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918م) إلى نشوء النزاعات في المنطقة حيث انخرطت القوات البريطانية في حرب ضد الإمبراطورية العثمانية في العراق وفلسطين. لم تتورط الإمارات في الحرب بشكل مباشر إلا أن موقعها بين البحر المتوسط والهند منحها أهمية إستراتيجية كبيرة. خلال ذلك الوقت، شهدت منطقة شبه الجزيرة العربية الكثير من التغيرات أيضًا. ففي عام 1902م، تأسست الدولة السعودية الجديدة في الرياض ووسعت نطاق سيطرتها على شرق الجزيرة العربية لتضم بعد ذلك مكة وبقية منطقة الحجاز في العشرينيات من القرن المنصرم.

مع نهاية الحرب العالمية الأولى، انهارت العديد من الإمبراطوريات الكبرى في وسط أوروبا وشرقها، ومنها الدولة العثمانية، الأمر الذي أثّر على التجارة والاستقرار في جميع أنحاء العالم. شكّل ذلك بداية أوقات عصيبة استمرت لعدة عقود لمنطقة الإمارات التي تأثرت، على وجه الخصوص، بالأحداث

قصر الحصن في الخمسينات من القرن العشرين.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

التاريخ الشفوي

إن معظم ما نعرفه عن تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة أتى من اكتشاف الآثار والنصوص القديمة، ولكن هذه النصوص محدودة العدد ولا يمكن الوثوق بها دائمًا لرسم صورة كاملة. لكي نحصل على معلومات عن الماضي الحديث للدولة لابدّ أن ننظر إلى التاريخ الشفوي، وهو يعني توثيق روايات الناس عن حياتهم والأحداث التي عاصروها. ونظرًا لسرعة التغيرات التي شهدتها دولة الإمارات في السنوات الأخيرة، يكتسب التاريخ الشفوي أهمية خاصة لأنه يعطي صورة عن مجتمع كان مختلفًا جدًّا قبل خمسين سنة فقط. في عام 2008م أصدر صاحب السمو **الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان** رئيس الدولة - حفظه الله - القانون الاتحادي الخاص بإنشاء المركز الوطني للوثائق والبحوث، وتم تعديل مسمى «المركز الوطني للوثائق والبحوث» إلى «الأرشيف الوطني». وتواصل هذه المؤسسة المهمة إجراء المقابلات وتدوين قصص وسيرة حياة المواطنين الإماراتيين الذين كانوا شهودًا على التغيرات الهائلة التي حدثت في مختلف أنحاء المنطقة خلال السنوات السبعين أو الثمانين الأخيرة. ليس عليك أن تكون مؤرخًا لتشارك في هذا العمل؛ فمجرد تحدثك مع والديك وأجدادك عن حياتهم وعن شكل الدولة عندما أصبحوا يافعين يشكل طريقة رائعة لمعرفة المعلومات عن تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة.

التي وقعت في أماكن بعيدة كاليابان. **ففي عام 1928م، بدأت اليابان بإنتاج اللؤلؤ الصناعي من مزارع خاصة، والذي غزا الأسواق العالمية في غضون سنوات قليلة**، فحرم الإمارات من مورد اقتصادي مهم وهو اللؤلؤ الطبيعي. كذلك أثّر الكساد الاقتصادي الكبير في الثلاثينات من القرن الماضي على السوق بشكل كبير، مما انعكس بشكل كارثي على صناعة اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي. رغم ذلك، واصل أسطول صغير من عدة قوارب العمل في صيد وتجارة اللؤلؤ لسنوات عديدة، إلا أن صناعة اللؤلؤ التي ظهرت قبل (7500) سنة بدأت تموت ببطء.

القيادة والاستجابة في منطقة الإمارات

أظهر قادة الإمارات وشعبها قوة وصمودًا في ذلك الوقت. **ففي عام 1928م، أصبح الشيخ شخبوط بن سلطان - رحمه الله - حاكمًا لأبوظبي** واستمرت فترة حكمه ما يقارب أربعين عامًا؛ ليخلفه أخوه الأصغر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - في عام 1966م، والذي أصبح الأب المؤسس لدولة الإمارات العربية المتحدة. **في عام 1912م، أصبح الشيخ سعيد بن مكتوم - رحمه الله - حاكم دبي واستمر حكمه لغاية عام 1958م**. ساهمت تلك العهود السياسية طويلة الأمد في إرساء الاستقرار في دولة الإمارات في زمن انعدم فيه الأمن.

خور دبي في منتصف عشرينيات القرن الماضي.

في الوقت ذاته، لم يكتفِ مجتمع الإمارات بمواجهة تلك التحديات، وإنما أقام علاقات جديدة مع العالم الخارجي أيضًا مستفيدًا من التقنية الجديدة لصناعة الطائرات التي ازدادت أهميتها بعد الحرب العالمية الأولى نظرًا لأنها ربطت المدن والبلدان حول العالم بطريقة لم يكن من الممكن أن يتصورها أحد قبل عقد واحد من الزمن.

في عام 1932م، تم إنشاء مطار في الشارقة استخدمته الخطوط الجوية الامبراطورية، التي أصبحت فيما بعد الخطوط الجوية البريطانية، من أجل نقل البضائع والأشخاص، ما أسهم في فتح البلاد على العالم خارج منطقة الشرق الأوسط.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان - رحمه الله.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

1939-1945م: الحرب العالمية الثانية وآثارها

على الرغم من الاستقرار السياسي الذي كانت الإمارات تنعم به في الثلاثينات من القرن الماضي، واجه قادة الإمارات وشعبها تحديات جديدة مع تطور الأحداث على الساحة العالمية. ففي عام 1939م، غزت ألمانيا بولندا، مطلقةً بذلك شرارة الحرب العالمية الثانية .على الرغم من عدم اندلاع أية معارك على أرضها، إلا أن آثار تلك الحرب طالت دولة الإمارات. حيث تحول مطار الشارقة إلى قاعدة لسلاح الجو الملكي البريطاني، ولعب دورًا بارزًا في ربط القوات البريطانية والأميركية في شمال افريقيا والهند. تحطمت الكثير من طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني والأميركي في الإمارات في ذلك الوقت. حيث شيُد في الفجيرة نصب تذكاري لملاح إحدى تلك الطائرات قضى نتيجة تحطم طائرته قبالة الساحل الشرقي، حين قامت طائرة بريطانية بإغراق غواصة ألمانية.

وبسبب تلك الحرب، انقطعت الطرق البحرية الواصلة إلى الهند والتي كانت تشكل مصدرًا مهمًّا للمواد الغذائية الواردة إلى الإمارات.

بين عامي 1941-1943م، تضاعف سعر الأرز ثلاث مرات كنتيجة لنقص هذه المادة الغذائية. وما زاد الطين بلة، ضرب جفاف شديد البلاد في أوائل الأربعينات واستمر لسنوات عديدة. يتذكر الكثير من الإماراتيين الذين لا يزالون على قيد الحياة اليوم تلك الفترات العصيبة (انظر فقرة - التاريخ الشفوي). ترسم السجلات التي يحتفظ بها المسؤولون البريطانيون في البلاد في ذلك الوقت صورة واضحة عن الوضع السائد. حيث كتب أحدهم في عام 1941م: "لم تهطل سوى بضع قطرات من المطر منذ العام الماضي، الوضع خطير للغاية. في الواقع، تعاني الماشية والجمال من حالة هزال شديدة بحيث إذا أمطرت السماء خلال الأسابيع القليلة القادمة، فلن تكون قادرة - على الأرجح - من تحمل البرد القارس الذي يلي ذلك ما سيؤدي على الأغلب لنفوقها."

قاذفات ولينغتون شبيهة بالطائرة الحربية التي تحطمت قبالة سواحل الفجيرة خلال الحرب العالمية الثانية.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

صورة للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - الذي أسس دولة الإمارات العربية المتحدة وأصبح أول رئيس لها، وهو يركب جملًا ويحمل صقرًا من فصيلة الشاهين في صحراء الختم بالقرب من جبل حفيت 20 ديسمبر 1948م- 27 يناير 1949م.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كلمات سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك

شرحت قرينة الشيخ زايد - رحمه الله - سمو **الشيخة فاطمة بنت مبارك** - حفظها الله - المعروفة الآن بلقب **"أم الإمارات"** كيف أن الاحتفال السنوي بالعيد الوطني في الثاني من ديسمبر يذكّرها بأهداف الاتحاد حيث قالت: "العيد الوطني ... دائمًا يذكّرني بروح الاتحاد، فهو يعيدني إلى الأيام الأولى. في البداية كانت فكرة الاتحاد عبارة عن حلم في عقل الشيخ زايد - رحمه الله. حلم شغل تفكيره منذ أن كان ممثلًا للحاكم في المنطقة الشرقية، ثم أصبح يسأل الله يوميًّا في صلاته أن يتحقق هذا الحلم. كان هذا الإنجاز (أي الاتحاد) يعني أشياء كثيرة بالنسبة له - المشاركة في العطاء، تحقيق الازدهار لجميع أبناء شعبنا وتعويضهم عن عصر الشقاء والحرمان، والقدرة على تذليل كل الصعوبات التي نواجهها، والبحث عن سبل الدخول إلى هذا العالم التنافسي الذي يسيطر عليه الأقوياء. أيضًا كان يعني ذلك بناء دولة تحظى بإعجاب واحترام جميع دول العالم".

"كانت البدايات بسيطة ولكن الطموحات كانت كبيرة حيث بذل رئيس دولة الإمارات (حاكم أبوظبي آنذاك) جهودًا استثنائية لإقناع حكّام الإمارات الأخرى بمشروعه الوحدوي، حيث عرض الوحدة عليهم وشرح لهم أهدافها وفوائدها، كما أنه بدد أية شكوك بأن مصالحه الشخصية هي الدافع وراء فكرته الخاصة بالوحدة. على العكس من ذلك تمامًا، كانت دوافعه إرضاء الله والتصرف بما يمليه عليه ضميره. كانت تلك أيامٌ لا تُنسى".

"خلال تلك الفترة، سيطر البريطانيون على قسم كبير من اقتصاد الإمارات وشؤونها الدولية، وكانت رغبة البريطانيين هذه بالسيطرة تتناقض مع استعدادهم لبناء البنى التحتية مثل المدارس والطرق والمستشفيات. وكان البريطانيون أحيانًا يستغلون موقعهم المسيطر لتحقيق منافع لا تلبي سوى مصالحهم. لكن عندما أصبح الشيخ زايد - رحمه الله - حاكم إمارة أبوظبي ومن ثم رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، حرص على استغلال الثروة الوطنية من أجل تحقيق الازدهار والرفاهية للدولة وجميع السكان".

بات الفقر المدقع حقيقة حياتية للكثير من الناس. كانت تلك من أصعب الأوقات التي مرت بها الإمارات عبر تاريخها الطويل.

بات الفقر المدقع حقيقة حياتية للكثير من الناس. كانت تلك من أصعب الأوقات التي مرت بها الإمارات عبر تاريخها الطويل. اليوم، نعتبر الكثير من الأشياء أمرًا طبيعيًّا في دولة الإمارات، وخاصة الوسائل التكنولوجية والكماليات التي نجدها في متناول أيدينا بسهولة. إلا أن الجيل الأقدم ممن يتذكرون تلك الأوقات العصيبة هم أكثر وعيًا بالتغيرات التي طرأت على البلاد خلال فترة وجيزة من الزمن.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كشافة (قوة) الإمارات المتصالحة

كان موضوع الأمن من المخاوف المهمة خلال هذه العقود. في عام 1951م تم إنشاء قوة عسكرية محلية أصبحت لاحقًا معروفة باسم "كشافة ساحل الإمارات المتصالحة"؛ وفي البداية كانت تضم ضباطًا بريطانيين وكان مقرها الرئيس في مطار الشارقة, الذي كان آنذاك المطار الوحيد في الدولة. بعد أن كان تعدادها بداية أقل من (100) رجل توسعت هذه القوة بسرعة، وكانت الحكومة البريطانية تموّلها حيث ضمت ضباطًا بريطانيين، ولكنها خدمت الحكّام والسكان المحليين إلى جانب قوات الشرطة المحلية المشكّلة حديثًا.

كانت مهمة هذه القوة الحفاظ على القانون والنظام وحماية الدولة من أي هجوم محتمل؛ وكان المجندون المحليون فيها يستفيدون من التعليم والتدريب الأساسي إلى جانب الرواتب المنتظمة. **في عام 1971م أصبحت هذه القوة عماد القوات المسلحة الإماراتية بعد تأسيس دولة الاتحاد، والعديد من جنودها أصبحوا لاحقًا من الضباط ذوي الرتب العالية.**

قاعدة كشافة ساحل الإمارات المتصالحة في حصن الجاهلي بمدينة العين.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

1950-1960م: نشوء الإمارات المتصالحة

أحدثت الآثار الكارثية للحرب العالمية الثانية تغيرات عميقة في الشرق الأوسط وجنوب آسيا. فقد استقلّت كلٌ من الهند وباكستان عن بريطانيا في عام 1947م، وما لبثت أن لحقت بهما سريلانكا بعد سنة واحدة فقط. وتراجع النفوذ البريطاني في الإمارات، مما وفّر فرصة لبدايات نشوء حكومة محلية.

| استقلّت كلٌ من الهند وباكستان عن بريطانيا في عام 1947م، وما لبثت أن لحقت بهما سريلانكا بعد سنة واحدة فقط. وتراجع النفوذ البريطاني في الإمارات. |

في عام 1952م، تأسس مجلس الإمارات المتصالحة من حكّام الإمارات المختلفة الذين كانوا يجتمعون مرتين في السنة لمناقشة مجموعة متنوعة من المواضيع بما في ذلك قوانين الجنسية ووثائق السفر. كما تم تشكيل صندوق تنمية الإمارات المتصالحة لمساعدة حكّام الإمارات على التخطيط لتنفيذ مشاريع البنية التحتية المستقبلية. إلى جانب ذلك، بدأت الإمارات تركّز على الاستثمار في قطاعي التعليم والصحة على وجه التحديد.

كانت دول الخليج العربي، حتى قبل تشكيل مجلس التعاون الخليجي، تساعد بعضها البعض خلال ذلك الوقت. حيث قدمت الكويت مساعدات مهمة في مجال الصحة والتعليم للإمارات وخاصة الإمارات الشمالية. **بحلول عام 1959م، انتشرت المدارس الحديثة في أماكن عديدة من الإمارات**. وبفضل انتشار التعليم، أصبح الناس أكثر وعيًا بالأحداث التي تجري في المنطقة. كذلك ساعد مفهوم القومية العربية الذي انتشر في العالم العربي في ظهور أفكار جديدة حول مستقبل البلاد.

بدأت البنية السياسية في دولة الإمارات تتبلور شيئًا فشيئًا.

في عام 1952م، تم الاعتراف بالفجيرة كإمارة مستقلة حيث حظيت بحكم ذاتي فعّال لعقود طويلة على الرغم من أنها كانت تُعتبر جزءًا من الشارقة من الناحية التقنية. وبذلك ارتفع عدد الإمارات إلى سبع.

استحوذت الإمارات مجددًا على اهتمام بريطانيا نظرًا لزيادة الهياكل السياسية فيها، كمجلس الإمارات المتصالحة، وإمكانية وجود النفط. لذلك، عيّنت بريطانيا "وكلاء سياسيين" بريطانيين، على غرار السفراء اليوم، في دبي وأبوظبي في الخمسينات والستينات من القرن الماضي.

1960-1970: اكتشاف النفط

استغل سكان الإمارات العديد من الموارد عبر تاريخهم. خلال فترة أم النار (2500 - 2000) ق.م، كانوا يستخرجون النحاس من جبال الحجر ويبيعونه إلى (بلاد ما بين النهرين)، وكسبوا ثروة طائلة من وراء تلك التجارة. كذلك سمح ابتكار الأفلاج في (العصر الحديدي) (1000 - 300) ق.م بالوصول إلى المياه المخزنة عميقًا في باطن الأرض واستخدامها في زراعة المحاصيل كالتمور. ونتيجة لذلك، نمت الواحات في منطقة العين وغيرها من الأماكن. كما ازدهرت صناعة اللؤلؤ التي بدأت قبل (7000) عام واستمرت حتى الماضي القريب.

نستنتج من ذلك أن الإمارات كانت دائمًا تمتلك مواردها الخاصة والفريدة، والتي - في حال استخدامها بحرص وعناية - كانت تعود بالثروات وتوفر فرص عمل جيدة للناس. لا يشكل النفط استثناءً لهذه القاعدة. فهو أكثر الموارد الطبيعية أهمية في الإمارات الحديثة الذي غيّر حياة الناس في الإمارات.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

في عام 1922م، ظهرت مؤشرات على احتمال وجود كميات هائلة من هذا المورد الطبيعي الثمين في دولة الإمارات. كان هذا المورد على درجة عالية من الأهمية للاقتصاد العالمي لأنه يلبي احتياجات الصناعات والتقنيات الجديدة. فقد أدى اختراع السيارات وظهور صناعات جديدة إلى ارتفاع الطلب على النفط. وبناء على ذلك، توافدت الشركات الأجنبية إلى الإمارات للحصول على اتفاقيات الامتياز. **في الحادي عشر من يناير عام 1939م، وقّع الشيخ شخبوط، حاكم أبوظبي آنذاك، على اتفاقية امتياز سمح بموجبها للشركات الأجنبية بالتنقيب عن النفط لمدة (75) عام.**

تأخرت عملية البحث عن النفط بفعل اندلاع الحرب العالمية الثانية، ولكن بعد أن حطّت الحرب أوزارها بدأت أعمال التنقيب بشكل حثيث. فقد تم في الخمسينات حفر العديد من الآبار دون وجود أية إشارة على وجود النفط أو الغاز. **وفي عام 1959م، تم العثور أخيرًا على كميات تجارية من النفط في أم الشيف قبالة ساحل أبوظبي، ومن ثم على اليابسة في منطقة الباب في السنة التالية.** بعد بضع سنوات في عام 1966م، تم العثور على النفط في حقل فتح قبالة ساحل دبي وبدأ الانتاج في عام 1969م، لتتبعها إمارة الشارقة باكتشاف حقل مبارك قبالة ساحلها، حيث بدأ التصدير في عام 1974م.

النفط والاقتصاد

غيّر اكتشاف النفط حياة الناس في الإمارات بطرائق عديدة، حيث عمل الإماراتيون في منصات الحفر البحرية والبرية، أو كمرشدين في الصحراء. وصارت شركات النفط العاملة في الإمارات تشتري المواد الغذائية والمؤن التي تحتاجها من أسواق الإمارات المحلية. في دبي، التي أصبح المغفور له - بإذن الله - **الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم - رحمه الله - حاكمًا لها خلفًا لوالده في عام 1958م**، سارع التجار إلى اغتنام الفرصة وأسسوا بعض أكبر الشركات التجارية في دبي في ذلك الوقت. بعد سنتين، تم إنشاء مطار في دبي لزيادة تعزيز التجارة والصناعة.

في أوائل الستينات، بات واضحًا أن أبوظبي تمتلك احتياطيًّا ضخمًا من النفط، وأن ثروة طائلة سوف تتدفق إلى البلاد من مبيعات النفط. وكان من حسن حظ البلاد ظهور قائد قادر على ضمان استخدام الثروة الجديدة بالشكل الأمثل. **كان ذلك الرئيس المستقبلي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله، الذي أصبح حاكم أبوظبي في أغسطس 1966م.**

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

النفط

يتشكل النفط الخام، أو البترول، من بقايا حيوانات صغيرة الحجم تُسمى بالعوالق ونباتات سقطت إلى قاع البحر قبل ملايين السنين فغطت الرمال أو الطين بقاياها، ومع مرور السنين تحول ذلك إلى صخر شكّل ضغطًا على النباتات والحيوانات الميتة، كما أصبحت الصخور المحيطة بها أكثر سخونة فساعدت الحرارة والضغط إلى جانب انعدام الهواء على كبس المادة و"طبخها" لتتحول إلى نفط خام. كانت بعض الصخور تحتوي على مسامات صغيرة سمحت للنفط بالتحرك صعودًا والانتشار في الطبقات العليا من الأرض، و يُسمى هذا النوع من الصخور بالصخور النفوذية. وفي حال عدم احتواء الصخور على مثل هذه الفراغات كان النفط يقع في المصيدة، و يُسمى هذا النوع من الصخور بالصخور الكتيمة. ويستطيع علماء الجيولوجيا الذين يدرسون الصخور تحديد أماكن هذه المصائد والحفر فيها من أجل الوصول إلى النفط. تحت الضغط والحرارة الشديدين يمكن تحويل النفط الخام إلى غاز طبيعي. بعد استخراج النفط والغاز يمكن استعمالهما لأغراض عديدة تشمل توفير الوقود للسيارات والمحركات، صنع المنتجات البلاستيكية والكثير غيرها. النفط والغاز ضروريان للاقتصاد في العصر الحديث ولكن مخزونهما سينضب في النهاية، ولهذا السبب نجد أن دولة الإمارات والعديد من الدول الأخرى تنفق أموالًا على تطوير مصادر بديلة للطاقة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح. وفي هذا الصدد، أنشأت أبوظبي معهد مصدر بجامعة خليفة للعلوم والتكنولوجيا الذي يعُتبر أحد المعاهد الرائدة في العالم في مجال أبحاث الطاقة البديلة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الفصل

15

الشيخ زايد - رحمه الله - وتأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة: من 1966م إلى سبعينيات القرن العشرين

المغفور لهما - بإذن الله - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

لقد كان قيام دولة الإمارات العربية المتحدة في عام 1971م ثمرة مسيرة طويلة من الجهود تكللت باتحاد الإمارات السبع في كيان واحد يجمع شمل الأمة ويحقق الازدهار لجميع أفرادها. لكن تلك المسيرة لم تكن لتنجح لو لم يتوفر لها قبطان ذو رؤية ثاقبة يقود دفتها حتى يصل بها إلى غايتها المنشودة. لقد كان المغفور له - بإذن الله - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ذلك القائد الذي أدرك منذ البداية أهمية التاريخ في حياة الأمم حين قال: "الأمة التي لا ماضي لها هي أمة بلا حاضر ولا مستقبل، ولقد كانت أمتنا والحمد لله غنية بماضيها التليد، وحضارتها الزاهية الضاربة بجذورها في أعماق هذه الأرض عبر أحقاب طويلة من الزمن". لقد كانت هذه الرؤية بالذات وراء الدور المحوري الذي لعبه الشيخ زايد - رحمه الله - في جمع كل القبائل الموجودة في أرض الإمارات في دولة واحدة يجمع بين أفرادها إحساس مشترك بالهوية الوطنية. ولتحقيق هذه الغاية، استثمر الشيخ زايد - رحمه الله - بحكمة الموارد المتوفرة ولا سيما الثروة النفطية المكتشفة حديثًا.

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله

وُلد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - في عام 1918م، وعايش التحديات الهائلة التي عاني منها سكان الإمارات من الثلاثينيات وحتى الخمسينيات من القرن العشرين. ترعرع الشيخ زايد - رحمه الله - بين أفراد مجتمعه، فكان في شبابه يتنقل بين مناطق إقامتهم سواء في الصحراء أو الواحات أو الجزر قبالة الشواطئ، حيث كان يتعلم العادات والتقاليد الإماراتية، ويطلع على أحوالهم، وهذا ما جعله يكسب احترام شعبه وثقتهم وولاءهم. كما جعلته تلك المعايشة لحياة شعبه بأن يحلم بتوفير حياة كريمة ومستقبل مشرق لكل أبناء شعبه في المستقبل.

| استثمر الشيخ زايد عائدات النفط بحكمة في وضع أسس النهضة وبناء البنى التحتية الضرورية حتى تتمكن الدولة الفتية من مواكبة ركب الحضارة في عالم سريع التطور. |

وبفضل حكمة الشيخ زايد - رحمه الله - ومهاراته القيادية التي تجسدت عمليًّا عندما كان حاكمًا لإمارة أبوظبي، وعندما أصبح لاحقًا رئيسًا لدولة الإمارات العربية المتحدة، رأى شعب الإمارات في الشيخ زايد - رحمه الله - القائد المؤهل لقيادتهم إلى بر الأمان، فالتفوا حوله، واستطاع قيادتهم في مسيرة طويلة من البناء والتنمية حتى وصل بدولة الإمارات العربية المتحدة إلى مصافِ الدول المتقدمة في العالم. وقد استثمر الشيخ زايد - رحمه الله - بحكمة الثروات الطبيعية التي حبا الله بها دولة الإمارات العربية المتحدة ومنها عائدات النفط في وضع أسس النهضة وبناء البنى التحتية الضرورية حتى تتمكن الدولة الفتية من مواكبة ركب الحضارة في عالم سريع التطور.

1966-1971: ميلاد أمة

في 13 يناير 1968م، أعلن هارولد ويلسون، رئيس وزراء بريطانيا آنذاك، أن جميع القوات العسكرية البريطانية سوف تنسحب من جميع دول المنطقة باستثناء قناة السويس في نهاية عام 1971م. وكان هذا الإعلان إيذانًا بانتهاء المعاهدة التي كانت تحكم العلاقة بين بريطانيا والإمارات لسنوات طويلة. وعلى أثر هذا الإعلان، أدرك حكّام الإمارات أنه قد آن الأوان لجمع كل الإمارات في كيان سياسي واحد قوي يضمن لها مستقبلها. لم يكن ذلك أول شكل من أشكال التعاون بين حكّام الإمارات، بل كان هناك

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

صورة للشيخ زايد - رحمه الله - وهو يتفقد أعمال التنقيب عن الآثار في مدينة العين خلال ستينيات القرن الماضي حيث كان حبه لتاريخ بلاده يقف وراء التوسع في أعمال البحث والتنقيب وافتتاح أول متحف في مدينة العين.

تعاون وثيق قد بدأ فيما بينهم من خلال مجلس الإمارات المتصالحة الذي تأسس في خمسينيات القرن الماضي. من جهته، بدأ الشيخ زايد - رحمه الله - فورًا بالتحرّك لاتخاذ الخطوات الضرورية. اجتمع مع المغفور له - بإذن الله - الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، حاكم إمارة دبي، في منطقة (عرقوب السديرة) الواقعة في منتصف الطريق بين أبوظبي ودبي. وقد أثمر ذلك الاجتماع عن توقيع اتفاقية الاتحاد التي كانت في مضمونها عبارة عن اتفاقية لتشكيل اتحاد بين الإماراتين مع توجيه الدعوة إلى الإمارات الخمسة الأخرى بالإضافة إلى كل من قطر والبحرين للانضمام إلى ذلك الاتحاد الوليد.

في 30 مارس 1968، اتفق حكّام الإمارات التسع على تشكيل اتحاد الإمارات العربية، وأعلنوا أن الهدف من هذا الاتحاد هو " تعزيز علاقات التعاون بين الإمارات الأعضاء في الاتحاد في جميع المجالات، وتنسيق الخطط الرامية إلى تحقيق التنمية والازدهار لشعوبها، وتعهد كل منها باحترام استقلال وسيادة الإمارات الأخرى، وتوحيد سياساتها الخارجية وتمثيلها الدبلوماسي وسياستها العليا في كل الشؤون السياسية والدفاعية والاقتصادية والثقافية الدولية".

بعد فترة، أعلنت كل من قطر والبحرين عن عدم رغبتهما بالانضمام إلى اتحاد الإمارات تاركتين الإمارات السبع الأخرى تشق طريق مستقبلها بنفسها. احترم الشيخ زايد - رحمه الله - قرارهما بالمحافظة على استقلالهما الذاتي، لكن دون أن يثنيه ذلك عن مواصلة جهوده الكثيفة لإقناع إخوانه حكّام الإمارات بأهمية الاتحاد وفوائده بالنسبة لشعوب هذه المنطقة. **وقد تكللت جهود الشيخ زايد - رحمه الله - بالنجاح عندما اجتمع مع إخوانه حكّام الإمارات في دبي واتفقوا على إنشاء دولة الاتحاد في 2 ديسمبر 1971م**. وفي ذلك الاجتماع، تشكّل المجلس الأعلى للاتحاد الذي انتخب بالإجماع الشيخ زايد ليكون أول رئيس لدولة الإمارات العربية المتحدة، وظل المجلس يعيد انتخاب الشيخ زايد مرة كل خمس سنوات حتى وفاته. كما انتخب المجلس الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم - رحمه الله - نائبًا لرئيس الدولة. وفور الإعلان عن تأسيسها، أصبحت دولة الإمارات العربية المتحدة عضوًا في جامعة الدول العربية والأمم المتحدة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

من اليسار إلى اليمين: المغفور له - بإذن الله - الشيخ خالد بن محمد القاسمي، حاكم الشارقة؛ المغفور له - بإذن الله - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الإمارات وحاكم أبوظبي؛ المغفور له - بإذن الله - الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، حاكم دبي؛ المغفور له - بإذن الله - الشيخ راشد بن حميد النعيمي، حاكم عجمان؛ المغفور له - بإذن الله - الشيخ محمد بن حمد الشرقي، حاكم الفجيرة؛ المغفور له - بإذن الله - الشيخ راشد بن أحمد المعلا، ولي عهد أم القيوين؛ أمام قصر الضيافة - المعروف الآن بدار الاتحاد - في عام 1971م.

1971م وما بعد: بناء دولة الاتحاد

وضعت دولة الإمارات العربية المتحدة حديثة الولادة دستورًا لها ينظم حكومتها، ويحدد أدوار ومسؤوليات المجلس الأعلى للاتحاد، وكيفية انتخاب رئيس الدولة ونائب الرئيس ورئيس مجلس الوزراء. وقد تضمنت مقدمة الدستور أفكارًا عصرية حول التمثيل والحريات والحقوق المساواة، لكنها استندت في الوقت ذاته إلى التقاليد والأعراف السائدة بين سكان الإمارات منذ القِدم. وقد جاء في مقدمة الدستور أن حكّام الإمارات قد وافقوا على الدستور للأسباب التالية: "ورغبة كذلك في إرساء قواعد الحكم الاتحادي خلال السنوات المقبلة على أسس سليمة، تتماشى مع واقع دولة الإمارات العربية المتحدة وإمكاناتها في الوقت الحاضر، و تُطلق يد الاتحاد بما يمكّنه من تحقيق أهدافه، وتصون الكيان الذاتي لإعضائه بما لا يتعارض وتلك الأهداف، وتعد شعب الاتحاد في الوقت ذاته للحياة الدستورية الحرة الكريمة، مع السير به قدُمًا نحو حكم ديمقراطي نيابي متكامل الأركان، في مجتمع عربي إسلامي".

لقد شكّل تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة في 2 ديسمبر 1971م منعطفًا مهمًّا في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة، وبالنسبة لكل من الشيخ زايد والشيخ راشد - رحمهما الله - لم يكن الإعلان عن قيام دولة الاتحاد مجرد تحقيق رؤية، بل كانت الخطوة الأولى في مسيرة طويلة الأجل وضعا أساسها من أجل تحقيق مستقبل مزدهر وحياة كريمة لشعب دولة الإمارات العربية المتحدة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الفصل

16

بناء الدولة الحديثة: من سبعينيات إلى ثمانينيات القرن العشرين

منظر من الجو لمركز دبي التجاري العالمي على شارع الشيخ زايد، دبي 1979.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

عند قيام دولة الاتحاد، واجه المغفور له - بإذن الله - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وحكّام الإمارات الأخرى مجموعة كاملة من التحديات الهائلة في بناء دولة الإمارات الحديثة. فقد كانت كل واحدة من الإمارات السبع تمتلك تاريخًا طويلًا وعريقًا، لذلك كان جمع وصهر هذه الإمارات في كيان واحد يحتاج إلى الكثير من الدبلوماسية والكرم والحكمة مع التركيز على الفوائد التي ستجنيها كل إمارة من الاتحاد.

على الصعيد الخارجي، لم تكن التحديات أقل ضخامة. **في نوفمبر 1971م، أرسلت إيران قواتها لاحتلال جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى**. رفض أفراد شرطة رأس الخيمة في جزيرة طنب الكبرى الانصياع لأوامر الإيرانيين بإنزال علم الإمارات والاستسلام، واستماتوا في الدفاع عن أرضهم ضد الهجوم ما أدى إلى استشهاد أحد أفراد الشرطة وهو سالم سهيل بن خميس ليصبح بذلك أول شهيد في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة. ومنذ ذلك الوقت، تحاول دولة الإمارات استعادة جزرها المحتلة عن طريق المفاوضات والتحكيم الدولي لكن دون جدوى.

تشكيل الحكومة

أبرزت تلك الأحداث أهمية تشكيل حكومة جديدة وفعالة حيث تم على وجه السرعة تأسيس أول مجلس للوزراء برئاسة المغفور له - بإذن الله - الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي كأول رئيس للوزراء. تبع ذلك تشكيل المجلس الوطني الاتحادي الذي يضم ممثلين عن الإمارات السبع.

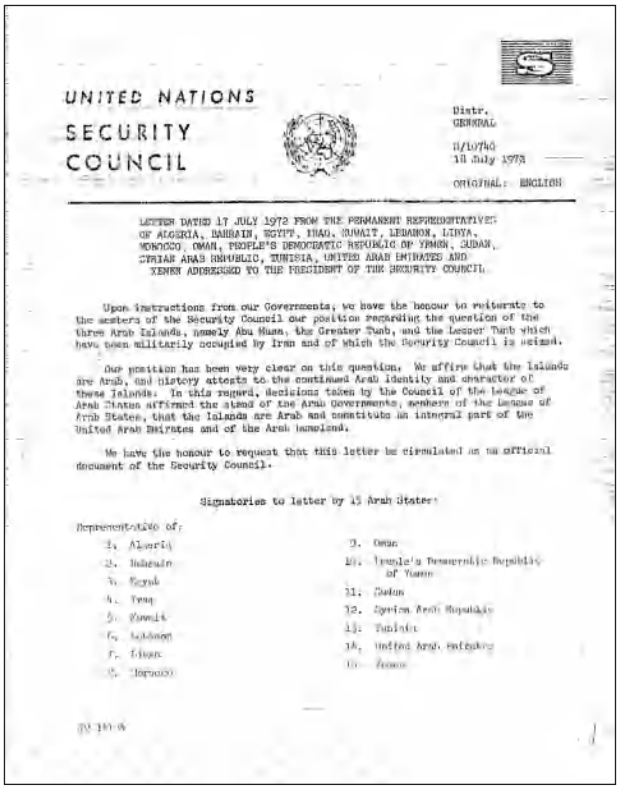

UNITED NATIONS
SECURITY COUNCIL

Distr.
GENERAL

S/10760
18 July 1972

ORIGINAL: ENGLISH

LETTER DATED 17 JULY 1972 FROM THE PERMANENT REPRESENTATIVES OF ALGERIA, BAHRAIN, EGYPT, IRAQ, KUWAIT, LEBANON, LIBYA, MOROCCO, OMAN, PEOPLE'S DEMOCRATIC REPUBLIC OF YEMEN, SUDAN, SYRIAN ARAB REPUBLIC, TUNISIA, UNITED ARAB EMIRATES AND YEMEN ADDRESSED TO THE PRESIDENT OF THE SECURITY COUNCIL

Upon instructions from our Governments, we have the honour to reiterate to the members of the Security Council our position regarding the question of the three Arab Islands, namely Abu Musa, the Greater Tunb, and the Lesser Tunb which have been militarily occupied by Iran and of which the Security Council is seized.

Our position has been very clear on this question. We affirm that the Islands are Arab, and history attests to the continued Arab identity and character of these Islands. In this regard, decisions taken by the Council of the League of Arab States affirmed the stand of the Arab Governments, members of the League of Arab States, that the Islands are Arab and constitute an integral part of the United Arab Emirates and of the Arab homeland.

We have the honour to request that this letter be circulated as an official document of the Security Council.

Signatories to letter by 15 Arab States:

Representatives of:

1. Algeria
2. Bahrain
3. Egypt
4. Iraq
5. Kuwait
6. Lebanon
7. Libya
8. Morocco
9. Oman
10. People's Democratic Republic of Yemen
11. Sudan
12. Syrian Arab Republic
13. Tunisia
14. United Arab Emirates
15. Yemen

وعمل حكّام الإمارات بعد ذلك تدريجيًّا على استحداث المؤسسات الأخرى التي تميّز الدولة الحديثة. **في عام 1976م، اندمجت قوة دفاع الاتحاد التي كانت تُعرف باسم كشافة ساحل الإمارات المتصالحة مع القوة العسكرية لكل إمارة لتشكل القوات المسلحة لدولة الإمارات العربية المتحدة**. وفي عام 1973م، تم تشكيل مجلس النقد الجديد وتم سك عملة وطنية جديدة وهي الدرهم الإماراتي. حل المصرف المركزي لدولة الإمارات العربية المتحدة محل مجلس النقد في عام 1980م.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

النفط والتنمية

كان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - رئيس دولة الاتحاد الجديدة، يمتلك رؤية لبناء مستقبل أفضل لكل شعب الإمارات من رجال ونساء، لكن تطبيق تلك الرؤية كان يحتاج للأموال. لحسن الحظ، استمرت إيرادات الحكومة بالارتفاع نتيجة لمجموعة من الأحداث العالمية والقرارات الحكيمة التي اتخذتها دولة الإمارات العربية المتحدة.

في عام 1971م، أسس الشيخ زايد - رحمه الله - شركة بترول أبوظبي الوطنية (أدنوك) التي كانت تمتلك حصة الحكومة في صناعة النفط. وبموجب الاتفاقيات الأولى، كانت الحكومة تمتلك الغاز، بينما تمتلك شركات النفط الأجنبية النفط، رغم أنها كانت تدفع الضرائب والامتيازات لحكومة الإمارات.

التغيرات السكانية

يبلغ عدد سكان دولة الإمارات العربية المتحدة حوالي (9.1) مليون نسمة حسب التقديرات لعام 2016م؛ والعديد من هؤلاء السكان هم عبارة عن عمالة جاءت إلى دولة الإمارات العربية المتحدة بحثًا عن الفرص الاقتصادية غير المتوفرة في بلدانهم. كما رأينا سابقًا، كان الوضع على هذا النحو أيضًا في الماضي عندما كان التجار من مختلف البلدان يسافرون إلى أبرز مدن الموانئ آنذاك وعلى الأرجح يعيشون فيها، ولكن عدد سكان الدولة بشكل عام ارتفع خلال العقود القليلة الأخيرة فقط.

إن أولى الأرقام الموجودة بحوزتنا لعدد سكان الإمارات تعود إلى مطلع القرن العشرين الميلادي إذ أن "جيه جي لوريمر"، أحد مسؤولي الحكومة البريطانية في الهند، سافر إلى دولة الإمارات ودوّن ملاحظات مفصّلة عن الدولة قدر فيها العدد الإجمالي لسكانها بحوالي (80,000) نسمة. ورغم عدم قدرتنا على التأكد من ذلك، من المحتمل أنه خلال الحقب التي شهدت وجود الكثير من المدن والقرى في دولة الإمارات (كما في حقبة أم النار) و(العصر الحديدي) مطلع القرن العشرين كان عدد السكان مشابهًا؛ ومن أسباب ذلك أن متوسط العمر المتوقع في دولة الإمارات العربية المتحدة لم يكن ليختلف كثيرًا عنه في القرون السابقة. ولكن بسبب استثمار دولة الإمارات في مجال الرعاية الصحية وتوفير الفرص الاقتصادية الجديدة التي أوجدها اكتشاف النفط، ارتفع متوسط العمر المتوقع بسرعة من أقل (45) سنة في خمسينيات القرن العشرين إلى حوالي (68) سنة في أواخر ستينيات القرن ذاته. أجريَ أول إحصاء رسمي لعدد السكان في عام 1968 حين كان اسم الدولة لا يزال "الإمارات المتصالحة"؛ وأشار هذا الإحصاء إلى أن عدد سكان أبوظبي (46,735) نسمة، عدد سكان دبي (58,971) نسمة، والعدد الإجمالي لسكان الإمارات الأخرى (الشارقة، رأس الخيمة، أم القيوين، عجمان، والفجيرة) (74,880) نسمة؛ أي أن إجمالي عدد السكان في المنطقة التي أصبحت لاحقًا دولة الإمارات كان آنذاك أكثر من (180,000) نسمة، أو أكثر من ضعف ما كان عليه عندما جمع لور يمر معلوماته. ومنذ ذلك الحين أصبح معدل النمو السكاني من أعلى المعدلات في العالم.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

زايد - الاستعداد لتولي دفة القيادة

كان انتخاب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله- كأول رئيس لدولة الإمارات العربية المتحدة في عام 1971م حدثًا مهمًّا في تاريخ دولة الإمارات الحديث. فقد دشن انتخابه مسيرة التقدم والازدهار على مدى ثلاثة عقود شهدت البنى التحتية والموارد البشرية خلالها نموًا سريعًا. قبل انتخابه، كان الشيخ زايد -رحمه الله- على صلة وثيقة مع شعبه، كما تحمّل الكثير من المسؤوليات الرسمية لا سيما من خلال عمله ممثلًا للحاكم في المنطقة الشرقية. وكانت تلك السنوات والخبرات كفيلة بإعداده للاضطلاع بقيادة الإمارات نحو مستقبل مشرق.

ولد الشيخ زايد -رحمه الله- في أبوظبي عام 1918، وكان أصغر الأبناء الأربعة للشيخ سلطان بن زايد آل نهيان الذي حكم أبوظبي من عام 1922 إلى عام 1926. سُمي الشيخ زايد - رحمه الله - تيمنًا بجده الشيخ زايد بن خليفة.

عندما ولد الشيخ زايد - رحمه الله - كان اقتصاد أبوظبي يعتمد على صيد السمك وصيد اللؤلؤ في المدن الساحلية. أما في الداخل، فقد عاش السكان على الزراعة البسيطة في بعض الواحات المتناثرة. كما كان معظم السكان من البدو الذين كانوا يتنقلون في الصحراء بحثًا عن المراعي.

كانت حياة سكان أبوظبي، وحتى حياة أفراد العائلة الحاكمة، بسيطة. كان التعليم يقتصر على تعلّم القراءة والكتابة وتعاليم الدين الإسلامي. في ذلك الوقت، لم تكن أبوظبي تعرف الطرقات أو المدارس أو منشآت الرعاية الصحية، وكانت وسائل النقل تقتصر على الجمال والقوارب. وكانت الحياة عبارة عن صراع قاسٍ مع البيئة والظروف نظرًا لقساوة المناخ.

أظهر الشيخ زايد - رحمه الله - تعطشًا قلّ نظيره للمعرفة مع سنين نموه. فقد جال في الصحارى ليطلع على حياة الناس، ويتعرف على النباتات والحيوانات المحلية، كذلك اطلع على الحياة في الساحل وصناعة اللؤلؤ العريقة، التي شهدت في الثلاثينيات انهيارًا كبيرًا ما جعل سموه يدرك مدى الحاجة لوجود موارد دخل جديدة.

عندما وصلت أولى شركات النفط إلى أبوظبي، قام الشيخ زايد - رحمه الله - بإرشادهم عبر الصحارى، وكان ذلك أول تواصل له مع تلك الصناعة التي ستؤثر بشكل كبير على البلاد في وقت لاحق.

في عام 1946م، وفيما كان لا يزال في العشرينيات من العمر، تم تعيين الشيخ زايد - رحمه الله - ممثلًا للحاكم في منطقة العين، وخلال عشرين سنة في هذا المنصب، تعلّم الشيخ زايد - رحمه الله - فنون الإدارة وأساليب الحكم. وقد استند في عمله على التشاور والإجماع نظرًا لإيمانه بفوائد هذا الأسلوب في إدارة البلاد. لاحظ المستكشف البريطاني السير ويلفريد ثيسيجر، الذي التقاه للمرة الأولى في ذلك الوقت، أن الأحكام الذي يطلقها سموه "كانت تتميز بالرؤية الحادة والحكمة والإنصاف"

كانت عملية إحياء الزراعة المحلية من المهام الرئيسية في العين. ولهذه الغاية، عمل سموه - رحمه الله - على التأكد من نظافة قنوات المياه القديمة (الأفلاج)، كما قام شخصيًا بتمويل بناء قنوات جديدة وشارك بنفسه في العمل المضني، وأعاد النظر في ملكية المياه بحيث تنازل عن حقوق عائلته آل نهيان في المياه بحيث يستفيد جميع المزارعين منها، وبذلك جعل من نفسه - رحمه الله - مثالًا ليحتذي به الآخرون. توسعت الزراعة نتيجة لهذه التغيرات، وازداد ثراء الناس ونمت الواحات كمركز للسوق.

في عام 1953م، رافق الشيخ زايد - رحمه الله - أخاه الشيخ شخبوط في أول زيارة له إلى أوروبا،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وتحديدًا بريطانيا وفرنسا. تركت تلك الزيارة أثرًا كبيرًا في نفس الشيخ زايد - رحمه الله - عبّر عنه في وقت لاحق حيث أبدى إعجابه الشديد بالمدارس والجامعات هناك، وصمم على أن يكون لشعبة مرافق شبيهة في يوم من الأيام، حيث قال: "كانت أحلامي كثيرة، كنت أحلم بأرضنا تواكب حضارة العالم الحديث، ولكنني لم أستطع أن أفعل شيئًا ولم يكن بين يديّ ما يحقق الأحلام ولكنني كنت واثقًا من أن الأحلام سوف تتحّقق في يوم من الأيام".

على الرغم من نقص الأموال في مدينة العين، نجح الشيخ زايد - رحمه الله - في تدوير عجلة التنمية والتطوير وقام شخصيًّا بتمويل أول مدرسة حديثة في أبوظبي. في عام 1960م، طلب من الأطباء الأجانب تأسيس مستشفى الواحة الذي لا يزال قائمًا إلى اليوم، وهو أول منشأة طبية حديثة في أبوظبي، وقد ساهم هذا المستشفى في خفض عدد الوفيات من الأطفال الرضع بشكل كبير.

في أغسطس 1966م، اختار آل نهيان الشيخ زايد - رحمه الله - ليكون الحاكم الجديد لإمارة أبوظبي. تحدث سموه - رحمه الله - في وقت لاحق عن أسابيعه الأولى في الحكم قائلًا:

"كانت صور الحكم جاهزة تمامًا في ذهني، لم تكن مسألة بحاجة للتفكير بها من جديد وإنما ببساطة وضع أفكار كانت تراودني لسنوات طويلة قيد التنفيذ. أولاً كنت أعرف أنه يجب علينا التركيز على أبوظبي والصالح العام. باختصار، كان يجب علينا مراعاة الظروف وتلبية احتياجات الناس ككل. ثانيًا، أردت تحقيق تقارب مع الإمارات الأخرى للعمل معنا، بحيث يمكننا أن نحذو حذو الدول المتطورة الأخرى من خلال العمل بانسجام وتحقيق نوع من الاتحاد".

انخرط سموه - رحمه الله - في العمل مدفوعًا بحيوية كبيرة وأعطى تعليماته بتنفيذ مجموعة واسعة من المشاريع الجديدة بما في ذلك أول مطار ملائم (مطار البطين الجديد) والميناء البحري الحديث والطرقات والمستشفيات والمدارس والمساكن ومحطات توليد الطاقة وغيرها الكثير.

لم يقتصر هذا النمو السريع على أبوظبي التي كانت تتحول بسرعة كبيرة إلى مدينة عصرية، فقد حرص الشيخ زايد - رحمه الله - على تنمية المناطق الأخرى في الإمارة مثل العين. كما أنشأ مدنًا جديدة مثل مدينة زايد في المنطقة الغربية. وفي سعيه الحثيث لتحقيق الازدهار، كان الشيخ زايد - رحمه الله - يؤمن بأنه يجب نقل التنمية الحديثة إلى الناس بدلًا من انتقال الناس إلى المدن القائمة.

لم تتوقف جهود التنمية عند حدود أبوظبي، بل وصلت التنمية إلى الإمارات الأخرى حيث أنفق فيها الأموال لإنشاء الطرقات والمدارس والمرافق والمنشآت الأخرى. وهكذا، تقاسم الجميع الثروة التي كان يوفرها النفط في أبوظبي.

عندما أعلنت بريطانيا عن نيتها الانسحاب من الإمارات، أدرك حكّام الإمارات الأخرى وشعوبها بأن فكرة الاتحاد أصبحت منطقية بالنسبة للجميع.

وقد عبّر الشيخ زايد - رحمه الله - عن ذلك في وقت لاحق قائلًا:

"نشأت تجربتنا في الاتحاد، في المقام الأول، من رغبتنا في زيادة الروابط التي تجمعنا، إضافة إلى قناعة سائدة بأننا جميعًا جزء من عائلة واحدة ولا بد لهم أن يجتمعوا تحت قيادة واحدة. لم يكن لدينا أية تجربة عن الاتحاد في السابق ولكن قربنا من بعضنا البعض وروابط الدم بيننا شكّلت عوامل رئيسية قادتنا إلى الاعتقاد بوجوب تأسيس دولة اتحادية من شأنها أن تعوض عن حالة التفرقة والتشرذم التي كانت سائدة من قبل."

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

في عام 1973م، اتفقت حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة مع شركات النفط الأجنبية على أن تحصل أدنوك على حصة تبلغ (25%) من النفط. وفي السنة التالية، رفعت الحكومة فحصة أدنوك إلى (60%). ساهمت هذه الخطوات، بالإضافة إلى ارتفاع سعر النفط في العالم، في زيادة العائدات المالية لحكومة الإمارات الأمر الذي جعلها قادرة على وضع السياسات الكبرى للتنمية الاجتماعية والاقتصادية تمشيًا مع رؤية الشيخ زايد -رحمه الله:

"إن الثروة ليست ثروة المال بل هي ثروة الرجال، فهم القوة الحقيقية التي نعتز بها، وهم الزرع الذي نستفيء بظلاله. والقناعة الراسخة بهذه الحقيقة هي التي مكنتنا من توجيه كل الجهود لبناء الإنسان وتسخير الثروات التي منّ الله علينا لخدمة أبناء هذا الوطن، حتى ينهضوا بالمسؤوليات التي تقع على عاتقهم، وليكونوا عونًا لنا ولأشقائنا. ولا يمكن العثور على ذلك في الثروة المادية وإنما في الرجال والأطفال وأجيال المستقبل، وهذا ما يشكّل الثروة الحقيقية."

نتيجة لهذه السياسة الحكيمة، حققت دولة الإمارات آنذاك نتائج فورية حيث تم بناء المستشفيات والمساكن والمدارس والطرقات في جميع أنحاء البلاد. وارتفع عدد الأطفال الذين يرتادون المدارس بشكل كبير جدًّا ، كما ساد توجه منذ البداية يضمن بأن تحصل الفتيات على التعليم على غرار البنين. **في عام 1977م تم افتتاح جامعة الإمارات في مدينة العين لتكون أول جامعة في دولة الإمارات العربية المتحدة.**

كان الهدف من جهاز أبوظبي للاستثمار ضمان الرخاء للأجيال القادمة. وبفضل إدارته الحكيمة، أصبح الجهاز أحد أكبر صناديق الاستثمار الحكومية في العالم.

إدارة الثروة والنمو

في عام 1976م، أسس الشيخ زايد - رحمه الله - جهاز أبوظبي للاستثمار من أجل إدارة الفائض من عائدات النفط والغاز، حيث عمل الجهاز على استثمار تلك العائدات النفطية في الخارج بحيث يعود دخلها إلى الحكومة. كان الهدف من ذلك ضمان الرخاء للأجيال القادمة.

وبفضل إدارته الحكيمة، أصبح الجهاز أحد أكبر صناديق الاستثمار الحكومية في العالم.

داخليًّا، كانت حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة تستخدم عائدات النفط لمعالجة العديد من القضايا المهمة من أبرزها تلبية احتياجات السكان الذين يتزايد عددهم. **في عام 1970م، كان عدد سكان الإمارات (500,000) نسمة، لكنه ارتفع إلى أكثر من مليون نسمة في عام 1980م.** لقد لعبت خدمات الرعاية الصحية التي تم توفيرها في دولة الإمارات العربية المتحدة دورًا بارزًا في إنقاذ حياة المزيد من الأطفال الإماراتيين. كما ساهم توفير فرص العمل للسكان في ضمان استمرار تدفق العمالة إلى البلاد، الأمر الذي زاد من الحاجة لوجود المزيد الوحدات السكنية والمنازل وبالتالي المواد الغذائية التي كانت بمعظمها مستوردة، ما دفع الحكومة إلى إيلاء مزيد من الاهتمام لصناعة المواد الغذائية. في المناطق الصحراوية من البلاد، تم إعداد الأراضي للزراعة، وتم توزيعها على شكل مزارع خاصة للمواطنين. كذلك منحت الحكومة إعانات مالية للمزارعين والصيادين على حد سواء.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حاويات بضائع الشحن في الرصيف (1) في ميناء جبل علي بدبي، أكبر ميناء بحري في الشرق الأوسط.

النقل البحري

توسع النقل البحري في السبعينيات من القرن الماضي حيث أصبح ميناء راشد في دبي - الذي افتتح في عام 1972م - مركزًا مهمًّا لشحن البضائع. ومع ازدهار هذا القطاع، أدرك المغفور له - بإذن الله - الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة وحاكم دبي، ضرورة بناء ميناء آخر أكبر حجمًا من شأنه أن يصبح مركزًا إقليميًّا، وبناءً على ذلك، **تم افتتاح ميناء جبل علي في عام 1979م**، وهو أكبر ميناء في الشرق الأوسط وأكبر ميناء من صنع البشر في العالم.

تم افتتاح ميناء آخر في الفجيرة على الساحل الشرقي لدولة الإمارات العربية المتحدة في عام 1983م، والذي شكّل عامل جذب نظرًا لموقعه الإستراتيجي البعيد عن مناطق النزاع داخل الخليج العربي. على الرغم من ازدهار الأعمال في ميناء الفجيرة وميناء خورفكان المجاور لناحية سفن الحاويات، إلا أن الأول ترك بصماته بطريقة أخرى، حيث أصبح مركزًا مهمًّا لـ "تزويد السفن بالوقود" على المستوى العالمي، أي تزويد السفن العابرة بالوقود اللازم. اليوم، يُعتبر ميناء الفجيرة ثاني أكبر ميناء في العالم لتزويد السفن بالوقود.

السياحة والنقل

خلال السبعينيات من القرن الماضي، كانت دولة الإمارات تشهد نموًّا سريعًا ساهم في قدوم أعداد متزايدة من المسافرين إلى الدولة حيث جاء معظمهم بغرض الاستفادة من فرص العمل. وبسبب النهضة في كل مناحي الحياة، بدأت دولة الإمارات تصبح شيئًا فشيئًا وجهة سياحية يقصدها الزوار من كل دول العالم بفضل مناخها الجيد في فصل الشتاء، والأمان والاستقرار الذي ينعم به المجتمع.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

في عام 1977م، تم استبدال مطار الشارقة الأصلي بمطار أكبر يقع خارج المدينة. وفي عام 1982م، تم افتتاح مطار أكبر مساحة وأحدث على البرّ الرئيس لإمارة أبوظبي وذلك لاستيعاب الأعداد المتزايدة للمسافرين. في عام 1985م، أطلقت دبي شركة طيران الإمارات الخاصة بها، التي باتت إحدى أكبر الخطوط الجوية في العالم. من جهتها بدأت شركة طيران أبوظبي عملياتها في عام 2003م باسم طيران الاتحاد، وهو العام ذاته الذي شهد انطلاقة العربية للطيران في الشارقة.

مجلس التعاون الخليجي

عبر التاريخ، كانت دولة الإمارات العربية المتحدة تتشارك بعض الثقافات والعادات والتقاليد المتشابهة مع الدول المجاورة في شبه الجزيرة العربية، وغالبًا ما كان قادة هذه الدول الخليجية يعقدون اجتماعات منتظمة لمناقشة اعتماد نهج مشترك لمعالجة القضايا التي تؤثر على المنطقة، بما في ذلك احتلال إيران للجزر الإماراتية الثلاث: طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى.

عبر التاريخ، كانت الإمارات العربية المتحدة تتشارك بعض الثقافات والعادات والتقاليد المتشابهة مع الدول المجاورة في شبه الجزيرة العربية.

في أواخر السبعينيات، تعرضت منطقة الخليج العربي للاضطرابات. على الضفة الأخرى للخليج العربي، اندلعت الثورة الإيرانية التي أطاحت بالشاه في بداية عام 1979م. وما لبثت أن نشبت الحرب الإيرانية - العراقية في بداية الثمانينيات. خلال تلك الحرب، شن الطرفان المتحاربان هجمات في مياه الخليج العربي، مما أثر على دولة الإمارات والدول المجاورة.

على أثر تلك الأحداث، **أدرك الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - أهمية ترسيخ علاقات أكثر قوة تجمع بين دول المنطقة. في 1981م، استضاف الشيخ زايد - رحمه الله - أول اجتماع قمة لزعماء الدول الخليجية**. اسفرت تلك القمة عن ولادة مجلس التعاون الخليجي بعضوية كل من الكويت والمملكة العربية السعودية والبحرين وقطر وعُمان إلى جانب دولة الإمارات العربية المتحدة. ومنذ ذلك الحين، تواصل الدول الأعضاء بناء علاقات وثيقة فيما بينها في العديد من المجالات بما في ذلك التجارة والأمن والسياسة الخارجية.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الفصل

17

الفترة الممتدة من تسعينيات القرن العشرين إلى اليوم

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

بحلول عام 1990م، مضت حوالي عشرون سنة على تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة بقي خلالها الشيخ زايد - رحمه الله - قائدًا ورئيسًا للدولة، ولكن بعض الحكّام الذين ساعدوه سابقًا في تأسيس الاتحاد أنتقلوا الى رحمة الله تعالي، وتولّ بدلًا منهم حكّام جدد مقاليد السلطة في الشارقة عام 1972م، والفجيرة عام 1974م، وأم القيوين وعجمان عام 1981م. وفي عام 1990م توفي أيضًا الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي - رحمه الله، والذي كان الشريك والحليف المقّرب للشيخ زايد وأول نائب لرئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، كما شغل منصب رئيس مجلس الوزراء لسنوات عديدة، وكان قد لعب دورًا أساسيًّا في بناء الدولة الجديدة، وخلفه ولي عهده المغفور له - بإذن الله - الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم.

الحرب في الخليج

بدأت الأحداث الإقليمية تسيطر على المشهد في الخليج العربي. **فما أن وضعت الحرب الطويلة بين العراق وإيران أوزارها في عام 1988م حتى اجتاحت العراق جارتها الكويت واحتلتها في أغسطس 1990م**. كما وجه الرئيس العراقي صدام حسين تهديدات إلى دولة الإمارات العربية المتحدة. إزاء ذلك، أدرك الشيخ زايد - رحمه الله - ضرورة الرد بحزم فورًا على ذلك الاجتياح غير المسبوق. ونتيجة لالتزامها تجاه الكويت بموجب ميثاق مجلس التعاون الخليجي، فتحت دولة الإمارات أبوابها أمام آلاف اللاجئين الكويتيين مرحبةً بهم، وانضمت سريعًا إلى تحالف دولي تقوده الولايات المتحدة، **وفي فبراير 1991م شاركت الطائرات والقوات البرية الإماراتية في حملة تحرير الكويت**.

زايد والتاريخ

منذ شبابه، أدرك الشيخ زايد - رحمه الله - العلاقة بين البيئة والتاريخ، فجمع بين اهتمامه العميق ببيئة الإمارات وشغفه بتاريخها. كما آمن أنه من الضروري أن يتعلم الناس من الماضي، فقد قال مرة: "التاريخ هو سلسلة متصلة من الأحداث، وما الحاضر إلا امتداد للماضي، ومن لا يعرف ماضيه لا يستطيع أن يعيش حاضره ومستقبله لأننا نتعلم من الماضي. ويجب على الجيل الجديد أن يقدّروا جيدًا الدور الذي لعبه أجدادهم."

لذلك كان من الطبيعي أن يبدي الشيخ زايد - رحمه الله - اهتمامًا كبيرًا بعلم الآثار، ولدى وصول علماء الآثار للمرة الأولى من الدنمارك في عام 1959م للعمل في جزيرة أم النار، قام سموه بزيارتهم وطرح الكثير من الأسئلة حول ما كانوا يقومون به وما كانت تعنيه اكتشافاتهم. كما وجه إليهم الدعوة للقدوم إلى مدينة العين وإلقاء نظرة على التلال التي تحتوي المدافن في جبل حفيت، والتي اتضح لاحقًا أنها تعود لـ (5000) سنة. في عام 1962م، اصطحبهم شخصيًّا إلى المدفن الكبير في هيلي. وفي عام 1992م، قام - رحمه الله - بتأسيس وتمويل هيئة المسح الأثري لجزر أبوظبي التي اضطلعت بدراسة ساحل إمارة أبوظبي وجزرها لمدة (15) عامًا وقدمت الكثير من الاكتشافات الكبرى بما في ذلك الدير المسيحي القديم في جزيرة صير بني ياس. أبدى الشيخ زايد اهتمامًا خاصًّا بهذا الموقع الأثري باعتباره جزءًا مهمًّا من التراث الوطني للإمارات ومثالًا يبرز مدى الحاجة للتسامح الديني.

آمن الشيخ زايد - رحمه الله - بمدى حاجة شعب دولة الإمارات اليوم لمعرفة كيف عاش أسلافهم والموارد التي استخدموها في حياتهم، وأنهم - من خلال هذه المعرفة - سيفهمون حياتهم المعاصرة أكثر وكم هم محظوظون. يعتقد بأن الناس إذا فهموا مدى الحاجة لحماية البيئة، يمكن عندها تحقيق توازن بين الطبيعة والإنسان، ليس للحاضر فقط وإنما للأجيال القادمة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لم يصل النزاع بحد ذاته إلى أراضي دولة الإمارات، ولكن تأثيره كان شديدًا حيث جاء رد المواطنين الإماراتيين بإظهار الولاء وتطوع آلاف الشباب في القوات المسلحة، والكثير من النساء الإماراتيات فعلن الأمر ذاته ما أدى إلى تشكيل أولى الوحدات العسكرية النسائية والتي كانت الأولى من نوعها في الوطن العربي.

خلال تسعينيات القرن العشرين تم إطلاق برنامج مهم لتوسيع وتطوير القوات المسلحة الإماراتية حيث تم شراء تجهيزات جديدة وز يادة أعداد المجندين وتحسين مستوى التدر يب. كان جزء كبير من هذا البرنامج يجري تحت توجيهات ولي عهد أبوظبي سمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان - حفظه الله - الذي كان يشغل أيضًا منصب نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة الإماراتية؛ وكان منفّذ هذا البرنامج أحد أبناء رئيس الدولة وهو سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان - حفظه الله - الذي أصبح رئيسًا للأركان في عام 1993م.

بعد وفاة الشيخ زايد - رحمه الله، خلف صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان - حفظه الله - أخاه صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان كولي للعهد ونائبًا للقائد الأعلى للقوات المسلحة.

بعد وفاة الشيخ زايد - رحمه الله، خلف صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان - حفظه الله - أخاه صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان كولي للعهد ونائبًا للقائد الأعلى للقوات المسلحة.

صاحب السمو الفريق أول الشيخ محمد بن زايد آل نهيان - حفظه الله، ولي عهد أبوظبي ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة الإماراتية، في زيارة تفقدية للمجندين الجدد.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حفظ السلام والمساعدات الدولية

بعد حرب تحرير الكويت، بدأت القوات المسلحة الإماراتية تؤدي دورًا أكثر نشاطًا في عمليات حفظ السلام خارج الدولة وذلك بتوجيهات من المغفور له - بإذن الله - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. في عام 1993م، شاركت دولة الإمارات ضمن قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام في الصومال؛ وفي عام 1999م، أرسلت دولة الإمارات جنودًا للانضمام إلى القوات الدولية لحفظ السلام في كوسوفو، وكانت هذه أول مرة يتم فيها نشرهم خارج المنطقة بصورة نشطة؛ وفي عام 2007م، تم أيضًا إرسال قوات إماراتية إلى أفغانستان.

كان هدف دولة الإمارات العربية المتحدة من مشاركتها في جميع عمليات حفظ السلام هو مساعدة الناس الذين يتعرضون للمعاناة بسبب النزاعات المسلحة حيث كان الشيخ زايد - رحمه الله - يؤكد دائمًا على أنه من واجب دولة الإمارات أن تساعد المحتاجين ليس داخل الإمارات فحسب وإنما أيضًا في العالم أجمع. انطلاقًا من هذه الرؤية الإنسانية، تأسست في دولة الإمارات أول وكالة للمساعدات الخارجية تحت اسم "صندوق أبوظبي للتنمية" في عام 1971م. كانت رسالة هذا الصندوق تقديم المنح أو القروض إلى البلدان النامية لمساعدتها على مكافحة الفقر. نفذ الصندوق مشاريع عديدة بعضها مشاريع بسيطة مثل حفر الآبار أو بناء المنازل، بينما تضمنت مشاريعه الأخرى مشاريع ضخمة خاصة بالبنية التحتية كالسدود وشبكات الطرق. إلى جانب المشاريع الخاصة به، كان "صندوق أبوظبي للتنمية" مكلّفًا أيضًا بمهمة إدارة المنح المقدمة من الحكومة الإماراتية مباشرةً؛ ومع مرور السنوات، استفادت حوالي ستين دولة مما يزيد عن (10) مليارات درهم من المنح والقروض.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لم يكن "صندوق أبوظبي للتنمية" المؤسسة الوحيدة المختصة بالمساعدات في دولة الإمارات، فمن التطورات المهمة الأخرى كان تأسيس منظمة الهلال الأحمر الإماراتي (انظر إلى الفقرة الخاصة بذلك).

1996م: الاحتفال باليوبيل الفضي

في عام 1996م، احتفلت الإمارات العربية المتحدة بمرور (25) سنة على تأسيسها كدولة. لقد كان من السهل آنذاك على الشيخ زايد - رحمه الله - وإخوانه حكّام الإمارات - رحمهم الله - أن يروا ثمار جهودهم وعملهم الجاد طيلة السنوات الماضية، وأن يلمسوا بأنفسهم أن دولة الاتحاد قد حققت بالفعل حياة أفضل لكل شعب الإمارات مثلما وعد الشيخ زايد - رحمه الله - قبل ربع قرن مضى.

وبفضل التركيز على التعليم، أصبح أبناء دولة الإمارات العربية المتحدة، رجالًا ونساءً، قادرين على أداء مسؤولياتهم الوطنية بشكل كامل في المجتمع.

لم تكن دولة الإمارات لتحقق ذلك التقدم العظيم في جميع جوانب الحياة دون تفاني الشيخ زايد - رحمه الله - والجهود المضنية التي بذلها بالإضافة إلى رؤيته الحكيمة لقيادة سفينة البلاد نحو مستقبل أفضل. في بداية الاتحاد، كان الشيخ زايد - رحمه الله - قد وعد بأنه سيستخدم إيرادات نفط أبوظبي لمساعدة الجميع، وقد أوفى بذلك الوعد. وبفضل التركيز على التعليم أصبح أبناء دولة الإمارات العر بية المتحدة، رجالًا ونساءً، قادرين على أداء مسؤولياتهم الوطنية بشكل كامل في المجتمع؛ ولم تعُد الدولة تفتقر إلى فوائد التنمية الحديثة بل أصبحت دولة ناضجة وواثقة.

منذ عام 1971م، ظلت دولة الإمارات تحقق تقدّمًا أذهل الجميع في كل جوانب الحياة، لقد شيدت دولة الإمارات كل المستشفيات ومنشآت الرعاية الصحية، المدارس والجامعات، الطرقات، الموانئ والمطارات وفقًا

دولة الإمارات العربية المتحدة والتغير المناخي

اتسع اهتمام دولة الإمارات العربية المتحدة بالبيئة ليشمل جميع المجالات البيئية. عندما يتم حرق الغاز في حقول النفط، يتلوث الغلاف الجوي، وهذا بدوره يؤثر على الظاهرة المعروفة باسم الاحتباس الحراري. يعتقد العلماء أن هذا الأمر سوف يؤدي إلى تغير في مناخ العالم حيث سترتفع درجات الحرارة، ما يعني أن مناطق عديدة ستصبح غير مناسبة للاستقرار البشري. كما أن المناخ الأكثر دفئًا من شأنه أن يسبب ذوبان الجليد في القطبين وبالتالي ارتفاع مستوى سطح البحر. على الرغم من أنها مشكلة عالمية، إلا أنها تؤثر بشكل مباشر على دولة الإمارات أيضًا. فأكثر من (80%) من سكان الإمارات يعيشون في بلدات ومدن على الساحل، وبالتالي فإن ارتفاع مستوى سطح البحر سيؤدي إلى حدوث أضرار جسيمة.

لا يمكن لدولة الإمارات العربية المتحدة معالجة هذه المشكلة لوحدها، ولكن باستطاعتها اتخاذ خطوات خاصة بها للسيطرة على الآثار الناجمة عن صناعاتها. في أواخر التسعينات، أمر الشيخ زايد - رحمه الله - بوقف حرق الغاز في حقول النفط في أبوظبي. وعلى مدى السنوات القليلة التالية، تم إلغاء أسلوب حرق الغاز بالكامل. اليوم، تعُتبر دولة الإمارات من الدول الرائدة على مستوى العالم فيما بات يعرف بالطاقة المتجددة، أي استخدام موارد الطاقة التي لا تنفذ مثل الطاقة الشمسية (التي تستخدم الشمس) وطاقة الرياح. تأسست شركة ابوظبي لطاقة المستقبل (مصدر) في عام 2006م لتكون رائدة في مجال البحوث حول هذا الموضوع، والعمل مع كبار الخبراء والشركات من جميع أنحاء العالم.

سمحت الثروة المالية التي تجنيها دولة الإمارات العربية المتحدة من صناعة النفط والغاز بتطوير البلاد وتنميتها، ولا يزال هنالك الكثير من كميات النفط المتبقية. تشير إحدى التقديرات إلى إمكانية استمرار دولة الإمارات في إنتاج النفط في المعدل ذاته لما يقارب (100) عام أخرى. على الرغم من ذلك، تتطلع دولة الإمارات العربية المتحدة إلى مستقبل يتخطى حدود النفط، وهو أمر ذو أهمية كبيرة ليس لدولة الإمارات العربية المتحدة فحسب وإنما للكوكب بأسره.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لأرقى المعايير العالمية؛ والاقتصاد الذي كان يعتمد على النفط أصبح يتضمن قطاعًا صناعيًّا مزدهرًا. في الماضي البعيد كانت حياة عدد كبير من الأطفال الإماراتيين لا تمتد لأكثر من خمس سنوات، وحتى عام 1970م كان متوسط العمر المتوقع للسكان أقل من (60) سنة؛ أما الآن يستطيع جميع المواطنين الإماراتيين، رجالًا ونساءً، أن يتوقعوا العيش لأكثر من (75) سنة.

يستطيع الآن جميع المواطنين الإماراتيين، رجالًا ونساءً، أن يتوقعوا العيش لأكثر من (75) سنة، وهذا يماثل متوسط العمر المتوقع للناس في أكثر دول العالم تقدّمًا.

وهذا يماثل متوسط العمر المتوقع للناس في أكثر دول العالم تقدمًا. لقد تم القضاء كليًّا على أمراض كالملاريا، كما تم التغلب على الأمية ليس فقط نتيجةً لبناء المدارس وإنما أيضًا بفضل برنامج تعليم الكبار للذين فاتتهم فرصة الدراسة في المدارس في صغرهم.

ومن العلامات البارزة على ذلك التقدم كان تعديل دستور دولة الإمارات. ففي عام 1971م، اتفق حكّام الإمارات السبع على دستور مؤقت يمكن أن يسمح للدولة بالعمل ولكنه لم يوضَع بصيغة نهائية، وبعد ذلك بسنتين تم اعتماد الدستور بصفة دائمة.

الاستدامة والبيئة

استمرت هذه التطورات بتغيير مظهر دولة الإمارات حيث أصبحت المدن أكبر حجمًا وتوسعت التجارة ونما الاقتصاد. بحلول عام 2000م كان عدد سكان الدولة يتجاوز (3) ملايين نسمة، أي أكثر بحوالي (70%) مما كان عليه قبل عقد من الزمن؛ **وفي مطلع عام 2018م بلغ عدد سكان الدولة حوالي (10) ملايين نسمة**. نتج عن هذا النمو السريع ازدياد الضغط على البيئة الطبيعية، إذ تم بناء مدن وطرقات جديدة، واستهلك الاستثمار في الزراعة والصناعة كميات متزايدة من مخزون المياه الباطنية التي لم يكن بالإمكان تجديدها بسبب تدني معدل الأمطار السنوي في دولة الإمارات. ونتيجةً لذلك، حدث ضغط هائل على مخزون المياه. وتزايَد عدد قوارب الصيد وكذلك عدد الأسماك التي يتم اصطيادها. وبعض الحيوانات التي تعيش في مياه دولة الإمارات، كالأطوم، تواجه خطرًا على مستوى العالم.

في الماضي، عندما كان سكان دولة الإمارات أقل عددًا بنسبة كبيرة، كان هناك توازن بين الإنسان والبيئة. ومع النمو الهائل لعدد السكان، أصبح واضحًا أن الموارد الطبيعية في الدولة تتعرض لضغط شديد؛ ولولا جهود الدولة المستمرة في التنمية المستدامة لحَدث ضرر بيئي طويل الأمد.

كان الشيخ زايد - رحمه الله - يفهم البيئة المحلية، فقد كانت البيئة من الأشياء التي خبِرها وتعلّم عنها في صغره؛ فقبل ذلك بسنوات كان قد كفّ عن الصيد بالبنادق لأنه رأى أن الحيوانات البرية كالغزلان والمها العربية تتعرض للانقراض. وقدم الشيخ زايد - رحمه الله - بنفسه شرحًا للأسباب:

"إننا نحب بيئتنا لأنها جزء عضوي من بلادنا وتاريخنا وتراثنا، لقد عاش آباؤنا وأجدادنا على هذه الأرض، وتعايشوا مع بيئتها في البر والبحر، وأدركوا بالفطرة وبالحس المرهف الحاجة للمحافظة عليها. وأن يأخذوا منها قدر احتياجهم فقط. ويتركوا ما فيها للأجيال القادمة لتكون مصدرًا للخير ونبعًا للعطاء، وكما أجدادنا كذلك نحن الذين نعيش الآن فوق هذه الأرض المباركة، يجب علينا الاهتمام ببيئتنا والحياة البرية، ويجب أن نكون أوفياء لأسلافنا وأحفادنا على حد سواء".

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

معهد مصدر بجامعة خليفة للعلوم والتكنولوجيا - أبوظبي

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

زايد والبيئة

يدرك جميع المواطنين الآن ضرورة حماية البيئة والتراث لدولة الإمارات. لذلك، تبذل الدولة وحكومتها الرشيدة جهودًا هائلة لضمان الحفاظ على الموارد الطبيعية لأطول زمن ممكن. لم تكن الحال كذلك دائمًا في الماضي، ولكن الشيخ زايد - رحمه الله - كان رجلًا سبق زمانه كما قال أحد المسؤولين الكبار ذات مرة: "كان زايد نصيرًا للبيئة قبل أن تصبح إحدى قضايا العصر الحديث."

أبدى الشيخ زايد قلقه بشأن الطبيعة حين كان شابًا وشرح ذلك في كتاب ألّفه عن الصقارة (الصيد بالصقور):

"خرجت ذات يوم في رحلة صيد في منطقة ريفية مفتوحة، وكانت طرائدي عبارة عن قطيع من الغزلان المنتشرة على مساحة واسعة. طاردتها وبدأت بإطلاق النار عليها؛ وبعد ثلاث ساعات توقفت لأتحقق من محصول الصيد فوجدت أنني قتلت أربعة عشر غزالًا... عندئذٍ أدركت أن الصيد بالبنادق ما هو إلا هجومًا صريحًا على الحيوانات وسببًا من أسباب انقراضها السريع؛ فغيّرت رأيي وقررت أن أكتفي بممارسة الصقارة".

كان الشيخ زايد - رحمه الله - يفهم الصلة بين البيئة والناس، وكما ذُكر في مكان آخر قال ذات مرة: "إننا نحب بيئتنا لأنها جزء عضوي من بلادنا وتاريخنا وتراثنا، لقد عاش آباؤنا وأجدادنا على هذه الأرض، وتعايشوا مع بيئتها في البروالبحر، وأدركوا بالفطرة وبالحس المرهف الحاجة للمحافظة عليها. وأن يأخذوا منها قدر احتياجهم فقط. ويتركوا ما فيها للأجيال القادمة".

ولد الشيخ زايد - رحمه الله - في عالم تميّز بالأهمية البالغة للعلاقة بين الإنسان والطبيعة حيث كانت مهارات البدو الرحل في الصحراء ضرورية لبقائهم على قيد الحياة، وكانت طريقة العثور على الماء والمراعي المناسبة من المهارات المهمة جدًّا مثلما كانت معرفة النباتات والحيوانات التي توفر الأدوية والغذاء.

تعرّف الشيخ زايد - رحمه الله - في شبابه على تراث الشعب الإماراتي واطلع على تفاصيل حياتهم في الصحارى والجبال بالإضافة إلى تفاصيل حياة صيادي السمك والغواصين الباحثين عن اللؤلؤ على الساحل؛ وساعده هذا الأمر على إدراك أخطار الاستخدام المفرط للموارد الطبيعية.

أطلق الشيخ زايد -رحمه الله- مبادرة بيئية لا تزال آثار نجاحها معروفة جيدًا اليوم. في مطلع ستينيات القرن العشرين أدرك أن المها العربية على شفا الانقراض لذا أجرى الترتيبات اللازمة لأسر زوجين من هذا النوع بحيث يمكنهما التكاثر فتعود المجموعة إلى وضعها السابق.

يوجد حاليًا ما يزيد عن 2,000 رأس من نوع المها العربية داخل دولة الإمارات العربية المتحدة، كما يوجد الكثير منها على جزيرة صير بني ياس التي أنشأ فيها الشيخ زايد -رحمه الله- محمية طبيعية خاصة به، وتُعتبر دولة الإمارات العربية المتحدة الآن المقر الرئيسي للأمانة الدولية للمها العربية حيث أصبح

الحفاظ على هذا النوع مضمونًا. أيضًا أنشأ الشيخ زايد - رحمه الله - مجموعة تضم حراسًا جوالين حيث كانوا يقومون بدوريات في الصحارى لضبط الصيد، وبسرعة عادت أعداد الغزلان والأرانب البرية إلى وضعها الطبيعي. وأصدر لاحقًا أول قانون للصيد في دولة الإمارات بهدف حماية الحياة الفطرية في الدولة؛ كما قاد الحملة العالمية لتوعية الصقارين بشأن الحفاظ على الطيور البرية ودَعم جهود إكثار الصقور، وطريدتها الحبارى، في الأسر ما أدى إلى تخفيف تأثير الصقارة على الطيور البرية.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

في عام 1996م تم تأسيس "هيئة بحوث البيئة وتنمية الحياة الفطرية"، وفيما بعد تم تعديل اسمها ليصبح "هيئة البيئة - أبوظبي"، وكانت مهمتها الأولى إجراء استبيانات بهدف معرفة المزيد من المعلومات عن البيئة والحياة الفطرية، وفقط عندئذٍ، أصبح بالإمكان تحديد الأخطار البيئية. ومع مرور السنين، تم إصدار قوانين جديدة لحماية الحياة الفطرية، كما تم إصدار لوائح لضبط صيد الأسماك بعد تراجع أعداد بعض أنواع الأسماك الشائعة نتيجةً للصيد المفرط، وتم إعلان بعض المناطق المهمة في البرّ والبحر كمحميات طبيعية.

مع مرور السنين، تم إصدار قوانين جديدة لحماية الحياة الفطرية، كما تم إصدار لوائح لضبط صيد الأسماك بعد تراجع أعداد بعض أنواع الأسماك الشائعة نتيجة للصيد المفرط.

فرص عمل للجميع

بعد سنوات من البناء، حان الوقت لأن يساهم أبناء دولة الإمارات العربية المتحدة الذين استفادوا من كل ما قدمته الدولة إليهم في بناء الدولة وتطويرها. لأجل ذلك، تم تطبيق سياسة "التوطين" - التي تعني شغل المواطنين الإماراتيين للوظائف من أجل المساهمة في بناء الاقتصاد - كانت دولة الإمارات قد بدأت منذ فترة بتطبيق تلك السياسة، لكنها عملت على تفعيلها مع تزايد أعداد الشباب الإماراتيين الباحثين عن فرص عمل.

لقد عبر الشيخ زايد - رحمه الله - عن رأيه حول هذا الموضوع بقوة حين قال:

"من واجبي كقائد لشباب هذه الدولة أن أشجعهم على العمل وبذل الجهد للارتقاء بمستواهم وخدمة بلدهم فالشخص الذي يتمتع بصحة جيدة وعقل وجسم سليم لكنه لا يعمل يكون قد ارتكب جريمة في حق نفسه وفي حق المجتمع".

ليس من المقبول، حسب قول الشيخ زايد - رحمه الله، أن يفكر الشباب الإماراتيون أنه باستطاعتهم الاعتماد على مساعدة الحكومة لهم، وبدلًا من ذلك يجب عليهم أن يؤدوا الدور والواجبات المطلوبة منهم تجاه وطنهم. ولخّصت كلمات الشيخ زايد - رحمه الله - قلقه ورغبته بمعالجة المشكلة: "نحن معنيون إلى حد بعيد برفع مستوى الكرامة وأخلاق العمل في مجتمعنا، وبزيادة نسبة المواطنين في القوة العاملة".

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

زايد ودور المرأة

يزخر الوطن العربي بأمثلة عن نساء كان لهن تأثير كبير على التاريخ.

لطالما لعبت المرأة دورًا رئيسًا في دولة الإمارات العربية المتحدة. ففي عصر ازدهار صناعة اللؤلؤ على سبيل المثال، كان الرجال الذين يعملون على صيد اللؤلؤ يغيبون عن منازلهم لأشهر. وكانت المرأة تدير كل شيء بدءًا من العائلة إلى الزراعة والعناية بالمواشي. في المدن، أصبحت بعض النسوة تاجرات على قدر كبير من الأهمية.

اليوم، تضطلع المرأة الإماراتية بدورها في جميع جوانب الحياة، حيث نجد المرأة عضوة في مجلس الوزراء والمجلس الوطني الاتحادي وسفيرات وقاضيات وكبار الموظفات في الخدمة المدنية، فيما انخرطت أخريات في سلك الشرطة والقوات المسلحة، ومنهن من يعملن كمهندسات في صناعة النفط أو طيارات أو سيدات أعمال، ومنهن من ربحن جوائز عن أدائهن في الفعاليات الرياضية العالمية. وتماشيًا مع القيم الدينية والعادات المحلية، حافظت المرأة على دورها المهم كراعية للأسرة ومسؤولة عن تربية أطفالها.

تأتي هذه الإنجازات كنتيجة مباشرة للجهود التي بذلها الشيخ زايد - رحمه الله - وقرينته سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك - حفظها الله، التي أطلق المواطنون عليها لقب "أم الإمارات" تقديرًا لجهودها في الارتقاء بمكانة المرأة على مر السنوات.

تأثرت رؤية الشيخ زايد - رحمه الله - عن المرأة بوالدته الشيخة سلامة بنت بطي، التي وبرغم ترمّلها في سن مبكرة، كرّست بقية حياتها لتقديم المشورة والدعم لأولادها، إذا لطالما شجعتهم على العمل سوية لصالح البلاد والشعب.

وعن الماضي، قالت سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك - حفظها الله - في وقت لاحق: "كان زايد - رحمه الله - ابنًا بارًا لأم عظيمة. حيث جعلت منها حكمتها وحنانها وقوة شخصيتها وحكمتها التجلي الأمثل للأنوثة في عيني ابنها زايد. نتيجة لذلك، جاء إيمانه في قدرة المرأة لا محدودًا، حيث يعتبر المرأة النصف الثاني للمجتمع وأقرب رفيق وشريك للرجل".

وفي هذا الصدد كتبت سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك - حفظها الله - "منذ اليوم الأول لتأسيس الاتحاد، وقف الشيخ زايد بحزم ضد التخلف والممارسات البالية التي انحرفت عن التعاليم السمحة للإسلام. وبدعم من أشقائه حكّام الإمارات الأخرى، اتخذ الشيخ زايد - رحمه الله - قرارًا بإحداث تحوّل اجتماعي لتنمية المرأة ومشاركتها في الحياة العامة لكن دون أن يؤدي ذلك إلى مخالفة التقاليد العريقة."

كان الشيخ زايد - رحمه الله - يؤمن بأن للرجل والمرأة دور مهم في تنمية البلاد، فقد أرسى دعائم التعليم الإلزامي حتى المرحلة الثانوية للبنين والبنات، ما فتح الباب واسعًا أمام فرص العمل.

يقول الشيخ زايد - رحمه الله: "من حق المرأة أن تعمل في كل مكان. فالإسلام يضمن لها وضعها الشرعي ويشجعها على العمل في جميع القطاعات طالما أنها تحظى بالاحترام المناسب. يتجلى الدور الأبرز للمرأة في تربية الأطفال ولكن فوق كل ذلك، لا بد من توفير الفرص للنساء اللواتي اخترن تأدية وظائف أخرى".

كان قيام سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك - حفظها الله - بتأسيس جمعية المرأة الظبيانية في عام 1973م ومن ثم الاتحاد النسائي العام في عام 1975م الذي يشمل كامل الدولة، ذا أهمية بالغة والتي حظيت هذه الخطوات بدعم سمو الشيخ زايد - رحمه الله. سعى الاتحاد منذ ذلك الوقت - برئاسة الشيخة فاطمة - إلى تعزيز دور المرأة في جميع جوانب المجتمع.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

اليوم، تتفوق أعداد النساء على الرجال في مؤسسات التعليم العالي في البلاد، كذلك تزداد باضطراد نسبة النساء الإماراتيات اللواتي يعملن في الوظائف الحكومية والقطاع الخاص. وفي هذا الصدد، تم إدخال تشريعات جديدة لضمان حقوق المرأة، إلى جانب قوانين أخرى تشمل إجازة الأمومة ورعاية الأطفال وغيرها من الموضوعات ذات الصلة.

نتيجة لذلك، وكما قالت الشيخة فاطمة - حفظها الله: "المرأة هي شريك الرجل في عملية البناء بكل ما تعنيه الشراكة من معنى. لم تعد المرأة اليوم مقيدة بدورها التقليدي في المنزل مع انفراج آفاق واسعة أمامها ... لم يعد مفهوم تمكين المرأة في دولة الإمارات مجرد مصطلح لغوي أو نظرية، وإنما واقعًا قائمًا".

فتاة إماراتية تخرجت حديثًا من برنامج تدريب فنيي هياكل الطائرات تعمل في منشأة "ستراتا للتصنيع" في العين.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

2004م: وفاة الشيخ زايد - رحمه الله - وظهور قادة جدد

في الثاني من نوفمبر 2004م انتقل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى رحمة الله بعد أن شغل منصب رئيس الدولة لمدة (33) سنة ومنصب حاكم أبوظبي لمدة (38) سنة. ومن بين الحكّام الآخرين الذين أسسوا دولة الإمارات مع الشيخ زايد، لم يبق على قيد الحياة سوى الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم رأس الخيمة الذي انتقل إلى رحمة الله عام 2010م.. وبذلك انتقلت مهمة استكمال مسيرة البناء التي بدأها الشيخ زايد -رحمه الله - إلى جيل جديد من القادة. استقبل مواطنو دولة الإمارات والمقيمون فيها خبر وفاة الشيخ زايد - رحه الله - بحزن كبير، فصاروا ينادونه "الوالد زايد" كما أطلقوا عليه لقب "والد الأمة".

صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة - حفظه الله.

خلف صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان حفظه الله، ولي العهد، والده ليصبح حاكمًا لإمارة أبوظبي. وخلال اجتماع المجلس الأعلى للاتحاد عُقد في اليوم التالي لوفاة الشيخ زايد، اختار حكّام دولة الإمارات العربية المتحدة مباشرة الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان - حفظه الله - رئيسًا جديدًا للدولة. وفي أول خطاب وجّهه إلى شعبه، أقرّ صاحب السمو الشيخ خليفة بالدين الذي يدين به لوالده، كما تعهّد بمواصلة قيادة دولة الإمارات على خطى النهج الذي رسمه والده باقتدار على مرّ السنوات منذ عام 1971م.

عندما تولى صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد - حفظه الله - رئاسة الدولة، كان قد اكتسب قبل ذلك خبرة واسعة في العمل الحكومي حيث أصبح ولي عهد أبوظبي منذ عام 1969م، وشغل لاحقًا منصب رئيس المجلس التنفيذي لإمارة أبوظبي، كما شغل منصب رئيس المجلس الأعلى للبترول في إمارة أبوظبي ومنصب نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة لدولة الإمارات.

بعد فترة تزيد قليلًا عن السنة، وتحديدًا في مطلع عام 2006م، توفي أيضًا الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة فخلفه شقيقه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم - رعاه الله - والذي أصبح حاكم دبي، ونائب رئيس الدولة، ورئيس مجلس الوزراء. في هذه الأثناء، في إمارة أبوظبي، كان سمو الشيخ محمد بن زايد - حفظه الله - قد خلف الشيخ خليفة كولي للعهد ونائبًا للقائد الأعلى للقوات المسلحة لدولة الإمارات العربية المتحدة.

واصلت دولة الإمارات العربية المتحدة مسيرة البناء والازدهار في ظل الجيل الجديد من القادة الذين تسلموا دفة الحكم وساروا على نهج الحكم الرشيد الذي أرسى دعائمه المغفور له - بإذن الله - الشيخ زايد.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الهلال الأحمر الإماراتي

تأسس الهلال الأحمر الإماراتي في عام 1983م وحظي باحترام عالمي، ويُعد اليوم واحدًا من أفضل المنظمات من نوعه في العالم.

ينطوي عمل هذه المنظمة على جانبين اثنين كما هو واضح في الأعمال التي انخرطت بها في الصومال وكوسوفو وأفغانستان واليمن وسوريا. الأول هو مساعدة الناس الذين يعانون من الكوارث الطبيعية والنزاعات، حيث تم تقديم الإمدادات الطارئة مثل المواد الغذائية والماء والخيام والملابس والمساعدة الطبية إلى المناطق المنكوبة على وجه السرعة. الأمر الذي وفر إغاثة فورية لمشاكل طويلة الأمد على الرغم من مواجهة التحديات. يتمثل الجانب الثاني لعمل الهلال الأحمر في مساعدة الناس على إعادة بناء منازلهم وعودة حياتهم للأمن الدائم. وقد قدم الهلال الأحمر المساعدات إلى جميع الشعوب المحتاجة بغض النظر عن ثقافاتها أو دينها، بل يواصل الهلال الأحمر نشاطه انطلاقًا من سياسة التسامح والقبول بالآخر التي تميّز مشاركة دولة الإمارات مع دول العالم في مجال العمل الإغاثي.

تُعتبر فلسطين من المواقع المهمة لنشاط الهلال الأحمر. إذ لطالما دعمت دولة الإمارات الشعب الفلسطيني في نضاله لإقامة دولته الخاصة.

على مر السنوات الماضية، استفاد مئات الآلاف من الناس في عدة دول من مشاريع المساعدات في دولة الإمارات. فقد كان تعهد الشيخ زايد - رحمه الله - بمساعدة المحتاجين جزءًا لا يتجزأ من طريقة تفاعل دولة الإمارات العربية المتحدة مع العالم الخارجي.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الخاتمة

اليوم، وبعد هذه المسيرة من البناء والجهود المخلصة، تقف دولة الإمارات العربية المتحدة بين مصافِ الدول المتقدمة في العالم حيث تفاخر بنجاحاتها الاقتصادية وتطورها الثقافي وانفتاحها على العالم وعلاقاتها الطيبة مع جميع شعوب العالم. كما تواصل دولة الإمارات تحقيق الإنجازات التي كان آخرها وليس أخيرها متحف اللوفر أبوظبي ومعرض إكسبو 2020م في دبي اللذان يشكلان نافذة واسعة لا يتعرف العالم من خلالها على حضارة الإمارات فحسب، وإنما على تاريخ هذه الشعوب، والأهم من ذلك أنه على أرض الإمارات تلتقي البشرية جمعاء في بوتقة الإنسانية.

لم يكن لدولة الإمارات العربية المتحدة أن تحقق كل هذه المكانة والنجاحات لولا القيادة الحكيمة التي تسنت لها وتجسدت في شخصية مؤسسها ورئيسها الأول ووالد الأمة، المغفور له - بإذن الله - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. ومثل جميع الزعماء التاريخيين، أدرك الشيخ زايد - رحمه الله - أن صناعة المستقبل المشرق تبدأ من فهم تاريخ وطنه وشعبه، وهذا ما انطلق منه وشجّع الآخرين عليه إدراكًا منه أن أمة بلا تاريخ لا حاضر ولا مستقبل لها. وبفضل اهتمام الشيخ زايد - رحمه الله - بتاريخ الإمارات، صرنا نعرف أن دولة الإمارات لها جذور تاريخية تمتد لأكثر من (125,000) سنة، وأن المجتمع الإماراتي قد راكم خلال هذه القرون الطويلة عوامل عديدة شكلت الأساس القوي للنهضة الحديثة التي ينعم بها في الوقت الحاضر.

ومن أولى هذه العوامل تشكّل المجتمع، فمنذ بدء نشوء المستوطنات البشرية، أدرك سكان تلك المستوطنات أهمية تضافر جهودهم حتى يتمكنوا من البقاء على قيد الحياة والازدهار في أرض متناثرة الموارد. وقد لمسنا ذلك الإحساس بالتكاتف على وجه الخصوص في المدافن التي تعود إلى (العصر الحجري الحديث) التي تم العثور عليها في عدة مناطق من الإمارات. فمنذ أكثر من (6,000) سنة، كان البدو الرعاة يدفنون موتاهم في مدفن واحد في جبل بحيص، وكانوا يعودون كل سنة إلى المدفن نفسه لدفن موتاهم وتذكّر أسلافهم، كما كانوا يكرمون موتاهم، سواءً أكانوا رجالًا أم نساءً، أغنياءً أو فقراءً، بتقديم حبات الخرز والهدايا إليهم.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

يشكل الإبداع ثاني تلك العوامل. منذ العصور السحيقة، لم يعدم سكان الإمارات ابتكار الوسائل التي تمكنهم من استغلال الموارد الطبيعية بطريقة كفوءة ومثمرة.

وبعد ذلك بآلاف السنوات، بنى سكان الإمارات في جزيرة أم النار وفي واحة العين مدافن ضخمة دفنوا فيها جميع الموتى من مجتمعاتهم، وكانت تلك المدافن تضم رفاة أشخاص أغنياء يلبسون حلي ذهبية جنبًا إلى جنب مع الفقراء من المزارعين والبحّارة. وبعد ذلك بفترة طويلة، وتحديدًا عندما حاول البرتغاليون السيطرة على بعض مدن الإمارات، هب جميع السكان دفاعًا عن أرضهم وأعادوا سيادتهم عليها. إن ما يجمع بين تلك التطورات التاريخية هو إحساس سكان الإمارات على مر تلك العصور أن لديهم مجموعة من القيم والمعتقدات المشتركة التي تشكل هويتهم.

يشكل الإبداع ثاني تلك العوامل. منذ العصور السحيقة، لم يعدم سكان الإمارات ابتكار الوسائل التي تمكنهم من استغلال الموارد الطبيعية بطريقة كفوءة ومثمرة. فإذا ما بدأنا من (العصر الحجري الحديث) قبل (8,000) سنة مضت، طور سكان الإمارات تقنيات بحرية تسمح لهم بممارسة النشاط التجاري مع مناطق بعيدة والاستفادة من خيرات البحار من بينها اللؤلؤ الذي كان يحظى بقيمة عالية تفوق غيره من الموارد. وفي هذا المجال، قدمت الإمارات لنا الدليل التاريخي الأول على استخرج اللآلئ من قاع البحار. وظل صيد اللؤلؤ الدعامة الأساسية لاقتصاد المدن الساحلية طيلة آلاف السنين. أما في المناطق الداخلية، فقد دفع شح الأمطار سكان تلك المناطق إلى ابتكار تقنية الأفلاج لري محاصيلهم. وبفضل هذه التقنية المبتكرة، استطاع السكان استخراج المياه المخزّنة عميقًا في باطن الأرض إلى السطح الأمر الذي ساهم في نمو الواحات التي لا تزال تلعب دورًا مهمًّا في اقتصاد الإمارات إلى يومنا هذا. من ناحية ثانية، تشير الدراسات الحديثة إلى أن سكان الإمارات القدماء كانوا من أوائل الشعوب التي استخدمت الإبل المدجنة. كما يوجد دليل دامغ على أنه تم تدجين الإبل البرية لأول مرة في منطقة الإمارات. في الخلاصة، استفاد الإنسان الإماراتي من كل هذه الابتكارات بصورة جيدة لتحقيق المنفعة لجميع السكان الأمر الذي ساهم في تحقيق النمو والازدهار للمجتمع.

يتمثل العامل الثالث في استخدام الإنسان الإماراتي لتلك الابتكارات في إنتاج البضائع التي تاجر بها في مختلف المناطق المجاورة التي وصل إليها بالبر أو البحر. خلال (العصر البرونزي)، كانت الإمارات، التي كانت تعُرف آنذاك باسم "مجان"، مصدرًا للنحاس واستخدمته في أنشطتها التجارية مع المناطق المجاورة. فقد استطاع عمال المناجم المهرة آنذاك من استخراج فلزات النحاس بعناية، ومن ثم طحنها وصهرها وتحويلها إلى سبائك كانت "سفن مجان" تنقلها إلى (بلاد ما بين النهرين) وغيرها من المناطق. وفي فترة تاريخية لاحقة، بدأ سكان الإمارات يصيدون اللؤلؤ وينقلونه بحرًا إلى آسيا وأوروبا للتجارة. ومع ازدهار صيد اللؤلؤ، نشأت موانئ جديدة مثل جلفار. ليس بعيدًا عن النشاط البحري، امتلك الإماراتيون معرفة كبيرة بفنون الملاحة البحرية حتى أضحوا سادة التجارة البحرية.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ومع اكتشاف النفط في خمسينيات القرن الماضي، احتلت دولة الإمارات العربية المتحدة موقع الصدارة في نظام التجارة العالمية بعد أن أصبح النفط الشريان الحيوي للاقتصاد الحديث. ومع ازدهار النشاط التجاري، لم تشهد موانئ الإمارات وصول البضائع الجديدة والثروات فقط، بل استقبلت أيضًا الأفكار والثقافات الجديدة. وهكذا، أصبح المجتمع الإماراتي متنوع السكان ومنفتحًا على العالم. وقد تجلى أحد مظاهر ذلك الانفتاح في تأسيس دير وكنيسة مسيحية في جزيرة صير بني ياس حيث ازدهرت هناك وكان رعاياها محط ترحيب من السكان المحليين حتى بعد انتشار الإسلام على نطاق واسع في أرض الإمارات.

أخيرًا، لا يمكن أن نغفل أن الإيمان كان حجر الزاوية في كل النجاحات التي حققتها دولة الإمارات. وحتى قبل ظهور الدين الإسلامي، كان أسلافنا في حالة بحث لمعرفة موقعهم في هذا العالم. فمنذ (العصر الحجري الحديث)، طوّروا طقوسهم الدينية مثل طائفة الأفاعي التي وجدنا آثارها في معابد (العصر الحديدي). كما عبدوا إله الشمس "شمس" في المعبد الجميل في قرية الدور. وفي القرن السابع الميلادي، بزغ فجر الإسلام على الإمارات من قلب شبه الجزيرة العربية فعزز مجموعة القيم من بينها المساواة التي ظل المجتمع الإماراتي في تاريخه يتحلى بها؛ والأهم من ذلك، جاء الإسلام برسالة كونية تدعو إلى الإيمان بإله واحد، وهو الله، والخضوع له. وسرعان ما انتشر الدين الإسلامي الذي بشر به النبي محمد - صلّى الله عليه وسلم - في كل بقاع الإمارات حتى أصبح دين حياة وآخرة يضمن السلام والازدهار لأتباعه. ولا يزال الدين الإسلامي يشكل الأساس الذي يقوم عليه مجتمع الإمارات دون أن يمنع ذلك أتباع الديانات الأخرى من ممارسة عباداتهم على أرض الإمارات في مظهر يؤكد التسامح والانفتاح الذي لا يزال يميز دولة الإمارات.

هكذا، كانت هذه العوامل الأربعة: المجتمع، الإبداع، التجارة، الإيمان، تتفاعل عبر آلاف السنين من تاريخ الإمارات حتى تكللت في يومنا هذا بهذه النجاحات التي ترفل بها دولتنا في جميع مناحي الحياة. وستظل هذه العوامل الأساس لنا كأمة وشعب لتحقيق المزيد من النجاحات في المستقبل رغم أننا نعيش في عالم مضطرب لكنه يحفل بالكثير من الآمال الواعدة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قراءات إضافية

لمعرفة المزيد عن المستحاثات الميوسينية (من العصر الثلثي الأوسط) من أبوظبي، انظر كتاب م. بيتش وبيتر. هيلير (المحرران) "أبوظبي قبل (8) ملايين سنة. مستحاثات من أواخر الحقبة الميوسينية من المنطقة الغربية" (2005).

وللاطلاع على لمحة عامة حول تاريخ دولة الإمارات، ارجع إلى كتاب د. ت. بوتس في أرض الإمارات: "آثار وتاريخ دولة الإمارات" (2012).

للاطلاع على أحدث تحليل للاكتشافات الأثرية من الحقبة الممتدة من (العصر الحجري الحديث) إلى (العصر الحديدي)، انظر إلى الفصول ذات الصلة في كتاب بيتر ماغي، "آثار شبه الجزيرة العربية في (العصر الحجري الحديث)" (2014).

ويمكن الاطلاع على المناقشات الأحدث حول آثار جزر أبوظبي في كتاب ج. ر. د. كينغ (المحرر) "الكبريت والإبل والبارود" (2003)، بينما يوجد ملخص للبحوث حول جزر أبوظبي في كتاب بيتر هيلير، "ملء الفراغات: الاكتشافات الأثرية الحديثة في أبوظبي" (1998).

وقد نُشرت آلاف المقالات في المجلات العلمية حول آثار وتاريخ دولة الإمارات؛ وأهم المجلات التي تحتوي على مثل هذه المقالات هي "الآثار والنقوش العربية"، ومجريات ندوة الدراسات العربية التي نشرتها (المؤسسة البريطانية لدراسة شبه الجزيرة العربية)

(http://www.thebfsa.org).

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الكلمات المفتاحية

Arabic

ا

آل نهيان 06
ابن ماجد 104، 108، 110، 111، 112
أبييل 82
الإبل 164
الاتفاقية المانعة 122
الاستدامة 154
البدية 99، 114، 116
البيئة 79، 144، 150، 154، 156، 157
الحرب العالمية الأولى 127، 128
الحرب العالمية الثانية 130، 135
الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان 95، 117، 124، 125، 128، 135، 137، 138، 140، 142، 143، 144، 148، 152، 160، 163
الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان 95، 117، 124، 125، 128، 135، 137، 138، 140، 142، 143، 144، 148، 152، 160، 163
الشيخ سلطان بن صقر القاسمي 125، 126
العصر البرونزي 86، 90، 105، 110، 111، 164
العصر الحجري الحديث 110، 115، 163، 164، 165، 167
العصر الحديدي 86، 89، 103، 134، 143، 165، 167
الفلج 103
القواسم 118، 120، 121، 122، 124، 125، 126
الكمال 107، 111
المعاهدة الحصرية 124
أم النار 79، 86، 90، 111، 127، 134، 143، 150، 164

ب

بابل 85
بلاد ما بين النهرين 90، 92، 134، 164

ج

جبال الحجر 134
جبل بحيص 163
جبل حفيت 131، 150
جلفار 100، 104، 105، 106، 107، 108، 113، 115، 116، 164
جميرا 105
جهاز أبوظبي للاستثمار 146

ح

حلف بني ياس 117، 126

د

دبا 88، 92، 93، 94، 95، 96، 98، 100، 102، 116
دلما 126

ش

شبه الجزيرة العربية 06، 78، 82، 83، 86، 88، 91، 100، 101، 102، 104، 106، 107، 110، 111، 114، 127، 148، 165، 167

ص

صحراء 131
صير بني ياس 88، 95، 96، 97، 102، 117، 150، 156، 165

ع

علم الآثار 86

ق

قادة 128، 130، 148، 160

ك

كشافة (قوة) الإمارات المتصالحة 133

م

مجان 84، 164
مجلس التعاون الخليجي 134، 148، 150
مدافن 89، 90، 94، 164
مروح 06
مستحاثات 167
مستوطنة الدور 88
مصائد اللؤلؤ 118، 119
معاهدة السلام البحري الدائم 124
معاهدة السلام العامة 122
مليحة 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 88، 91، 98، 127
مناخ 153
مويلح 80

ن

نفط 136، 153

ه

هيلي 150

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

التعليم الهجين في المدرسة الإماراتية

في إطار البعد الإستراتيجي لخطط التطوير في وزارة التربية والتعليم، وسعيها لتنويع قنوات التعليم وتجاوز كل التحديات التي قد تحول دونه، وضمان استمراره في جميع الظروف، فقد طبقت الوزارة خطة التعليم الهجين للطلبة جميعهم في المراحل الدراسيّة كافة.

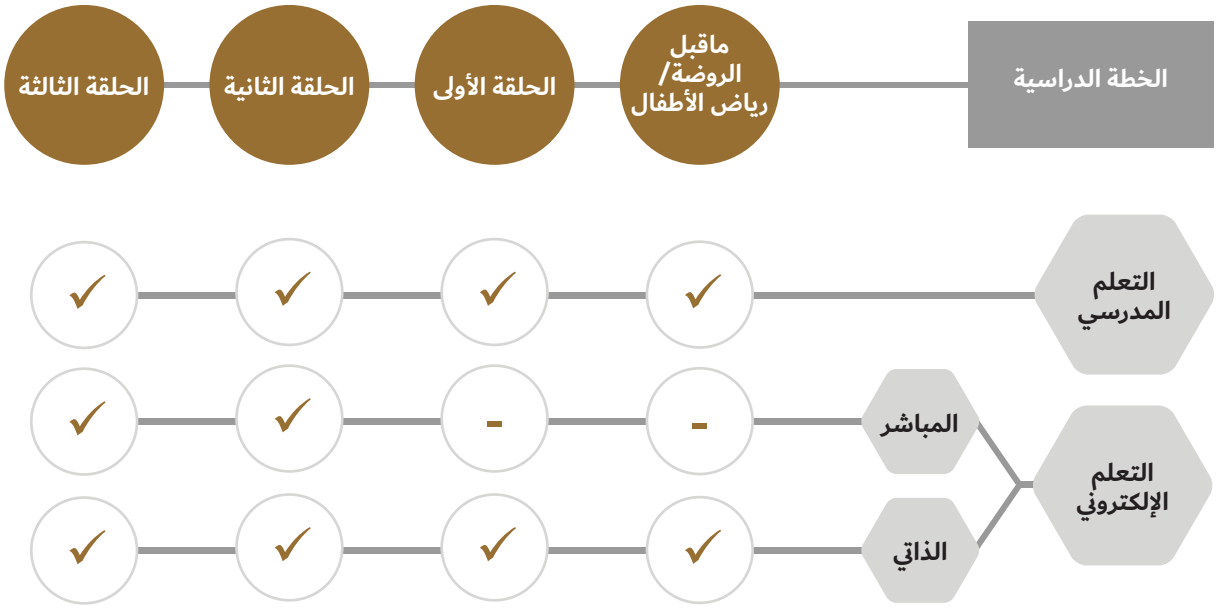

قنوات الحصول على الكتاب المدرسي:

برنامج محمد بن راشد للتعلم الذكي
Mohammed Bin Rashid Smart Learning Program

الوحدات الإلكترونيّة

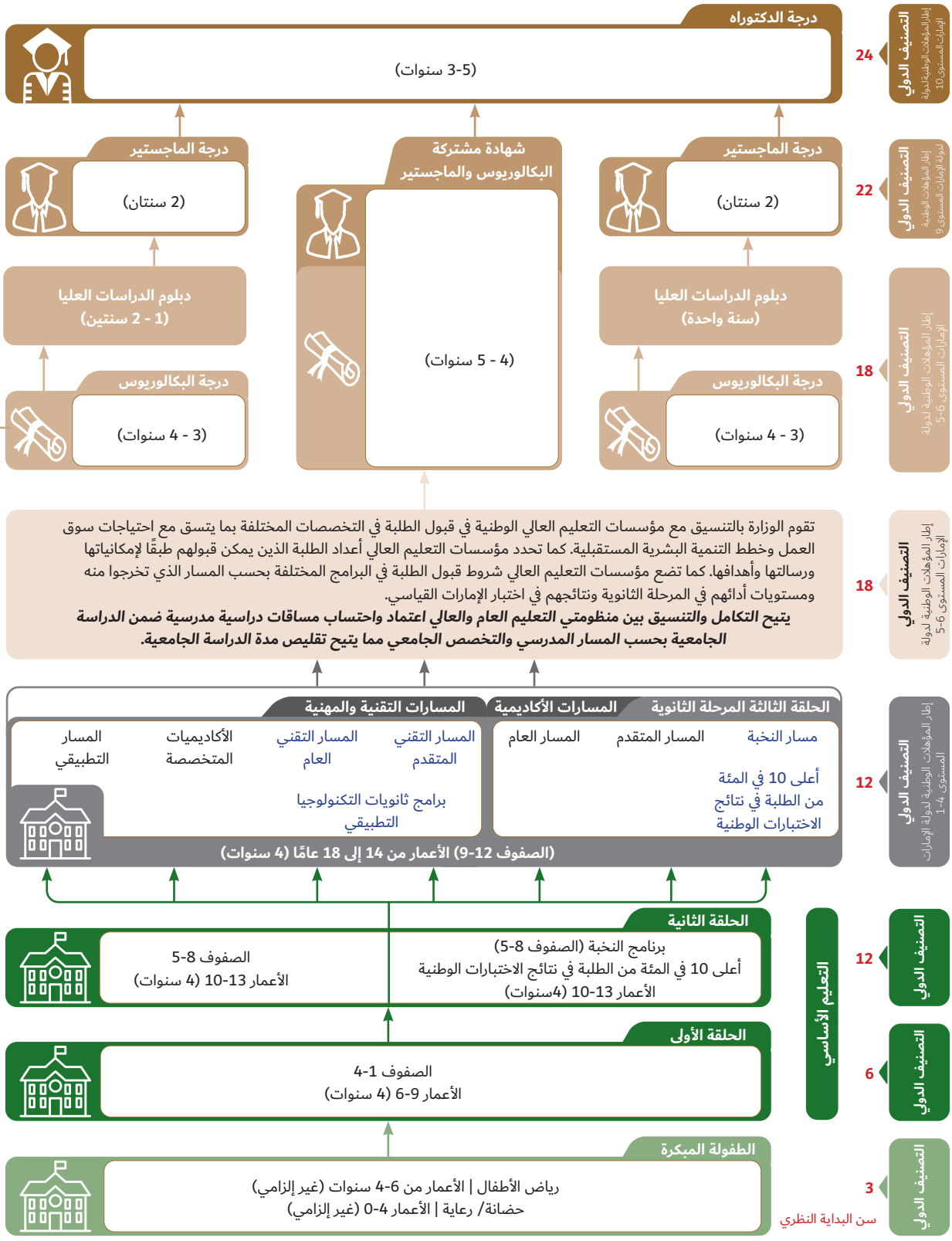

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم

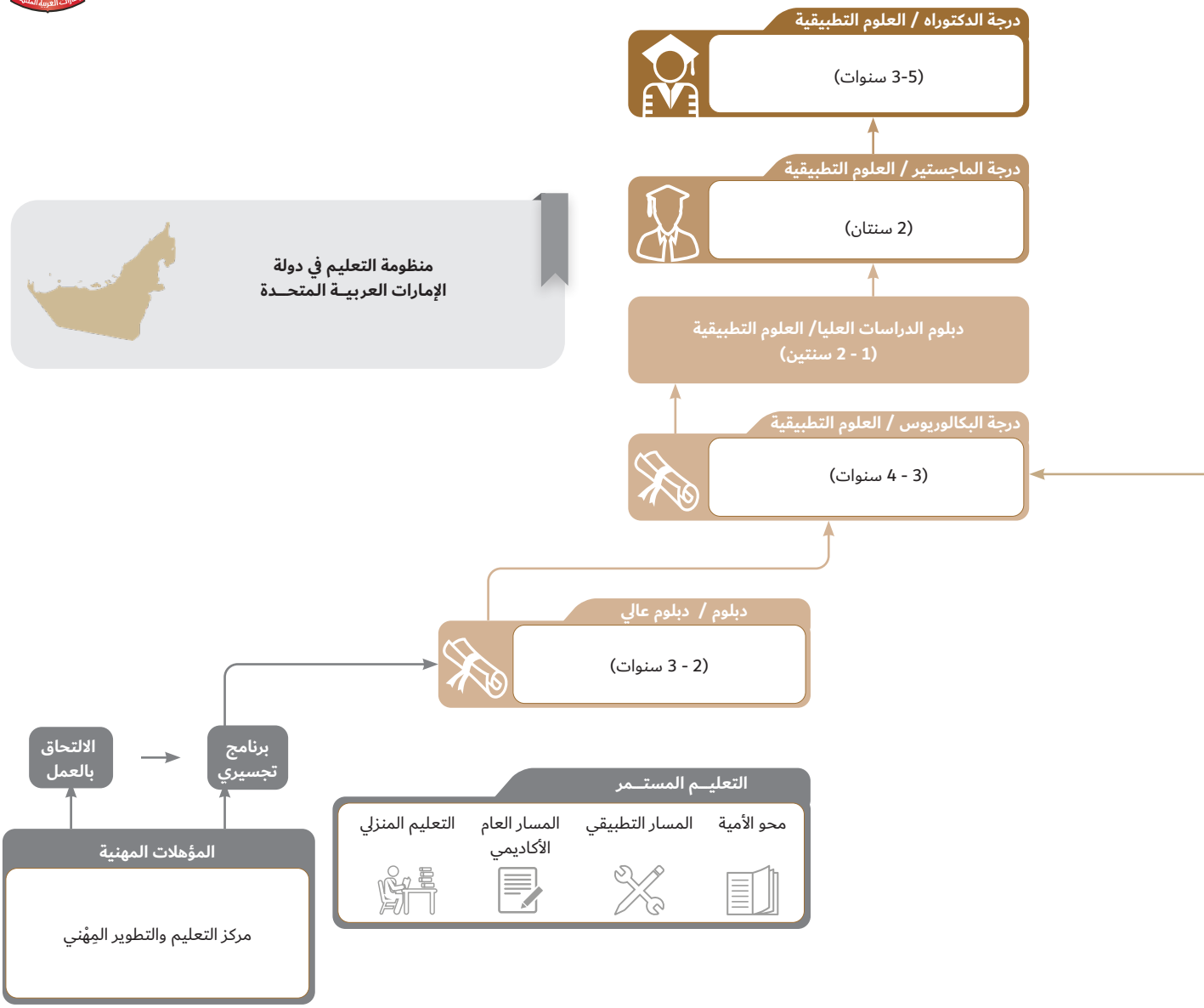

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية و التعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مركز اتصال وزارة التربية والتعليم
اقتراح - استفسار - شكوى

80051115

04-2176855

www.moe.gov.ae

ccc.moe@moe.gov.ae